ثورة
المختار الثقفي

وقصة الأخذ بالثأر لمقتل الحسين عليه السلام

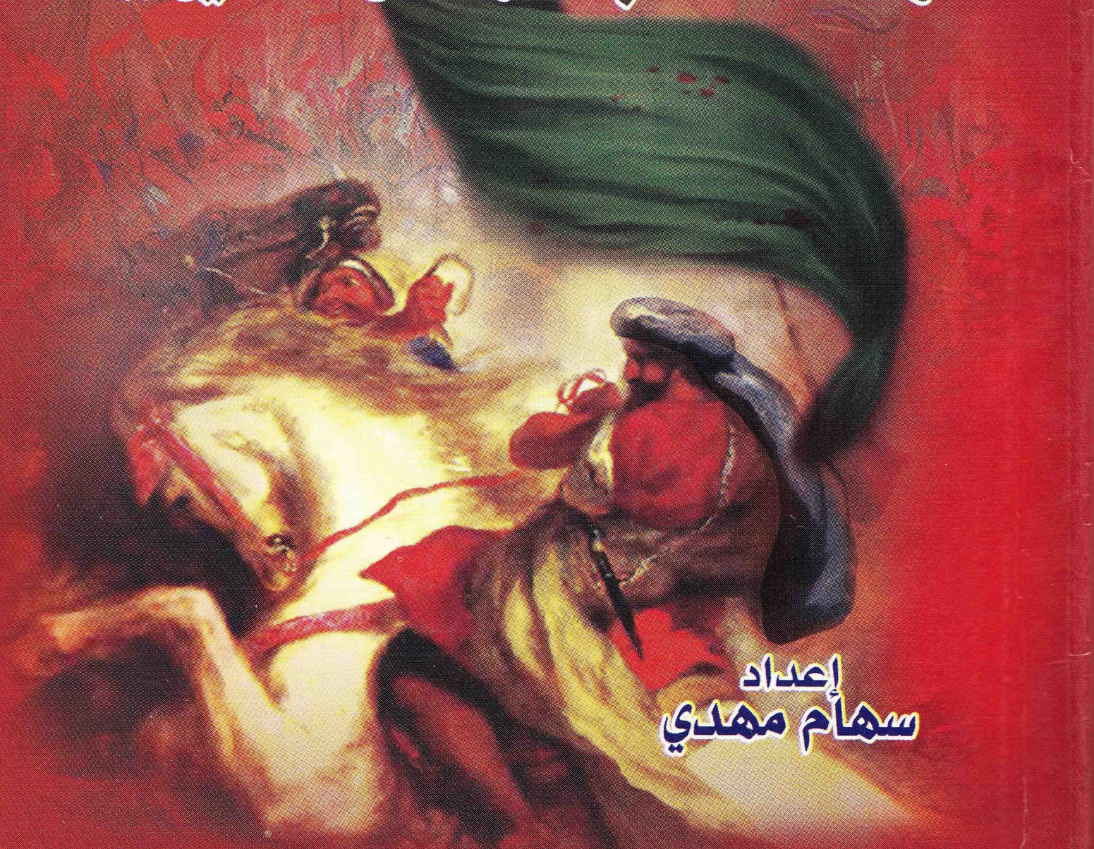

إعداد
سهام مهدي

PDF مكتبة نرجس
www.narjes-library.blogspot.com

ثورة المختار الثقفي
وقصة الآخذ بالثأر
لمقتل الحسين عليه السلام

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار الإرشاد: للطباعة والنشر والتوزيع تلفون: ٧٠/١٢٤٦٩١

بيروت - حارة حريك - نزلة الشورى - بناية الريحاني ٠١/٢٧٥٦٧٨

E-mail:al-ershad@live.com

ثورة
المختار الثقفي

وقصة الآخذ بالثأر لمقتل الحسين عليه السلام

إعداد
سهام مهدي

دار الإرشاد
للطباعة والنشر والتوزيع

المقدمة

قبل أن يموت معاوية بن أبي سفيان عين ابنه يزيد خلفاً له ليحكم الناس من بعده، وقد حاول يزيد أخذ البيعة من الجميع بما فيهم الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام، بل إجباره على ذلك، إلا إن الحسين عليه السلام رفض رفضاً قاطعاً وقال: «إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، وبنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله».

قال بعض المؤرخين: ولما بلغ أهل الكوفة نزول الحسين عليه السلام بمكة وامتناعه عن البيعة ليزيد، اجتمعت الشيعة بالكوفة في دار سليمان بن صرد الخزاعي، وكان من زعمائها وقد تشاور مع بعض

زعماء الشيعة لكي يراسلوا الحسين عليه السلام، ويطلبوا منه القدوم إليهم، وقد حمل الرسالة جمع من رجالات الشيعة وتبعهم رجال أخرون يحملون ما يقارب الإثني عشرة ألف رسالة، وكل هذه الرسائل والمكاتيب تدعو الحسين إلى القدوم إليهم، ومن رسائلهم إلى الإمام: «... **فالعجل العجل يابن رسول الله، فقد إخضر الجناب، وإينعت الأثمار، وإعشبّت الأرض، وأورقت الأشجار، فأقدم إذا شئت، فإنما تقدم على جندٍ لك مجنّدة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبل**»، ولكن أهل الكوفة قد نكثوا العهد مع الحسين إما خوفاً من الحاكم الظالم وإما طمعاً بالمال الذي أغدقه عليهم أو بالوعود التي وعدهم إياها فتركوا الحسين وحيداً فريداً بين جيش الأعداء وفي أرض المعركة يُقتّلون أبنائه وأصحابه وأهل بيته، إلا قلة قليلة صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فلم يبيعوا ضمائرهم ففدوا بأنفسهم ريحانة رسول الله، فقاتلوا ونصروا الحسين عليه السلام إلى آخر قطرة دم من دمائهم،

كما قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ .

وبعد استشهاد الإمام الحسين وسبي نساءه وأطفاله أسارى، ورجوع إبن زياد من حرب الحسين، ودخوله الكوفة تلاقوه أهل الكوفة بالتلاوة والمنادمة وشعر شيعة الكوفة بعظيم الندم على خذلانهم الحسين بعد أن دعوه إلى المجيء إليهم، حتى قتل إلى جانبهم ولم ينصروه، ورأوا أنهم قد أخطأوا خطأً فادحاً وكبيراً، وأنه لا يغسل عارهم والإثم هذا إلا أخذ الثأر من قاتليه حتى لو قُتلوا هم أنفسهم، لذلك قامت ثورات عدة بعد إستشهاد الإمام الحسين على بني أمية وكان عدد كبير منها يحمل شعار «**يا لثارات الحسين**» لكن ليس الجميع كان يطلق هذا الشعار من القلب إلا عدد قليل منها، ومن هذا العدد حركة المختار الثقفي الذي لم يفصّل التاريخ حياة هذا الرجل حق معرفته، فحاولوا إلصاق التهم الباطلة له على الرغم من

وضوح ثورته كوضوح الشمس ووضوح نتائجها أيضاً، فقيل فيه بأنه اتخذ هذا الشعار لكي يكسب ودّ وميول الشيعة إليه وينال مراده، إلا أنه كان حقّاً من محبي ومخلصي وموالي آل البيت الكرام.

هذا الكتاب الموجز يتحدث عن المختار الثقفي وتفصيل ثورته، «**ثورة الثأر**» التي قام بها خالصةً لوجه الله وانتقاماً لدم الشهداء ـ الحسين وأبنائه وأصحابه الخلّص ـ.

وإنها قصة الإنتقام من القتلة الذين أشتركوا في قتل الحسين وسبي عياله.. ربما تفيد القراء الأعزاء وتشجعهم على مواصلة الجهاد ضد كل ظالم وكافر، سائلين المولى أن يتقبل منا هذا العمل المتواضع وأن يجعلنا من خدام سيدنا ومولانا الحسين عليه السلام وأبيه والأئمة من بعده.

آمين والحمدلله ربّ العالمين.

الفصل الأول

تاريخ المختار

١ ـ الإخبار بالمختار في أدعية الإمام الحسين عليه السلام

روي في الأخبار أن الحسين عليه السلام خطب بالقوم يوم عاشوراء يحذرهم وينذرهم، فقال عليه السلام في خطبته: «... **ألا ثم لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم الرحى، عهد عهده إليّ أبي عن جدّي صلى الله عليه وآله: فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني جميعاً فلا تنظرون إنيّ توكلت على الله ربي وربكم وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، اللّهم أحبس عنهم قطر السماء وأبعث عليهم سنين كسني يوسف عليه السلام،**

وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة، ولا يدع فيهم أحداً إلا قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غزونا وكذبونا وخذلونا.

وقوله عليه السلام لعمر بن سعد: **«إنّك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأنّي برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة يتراماه الصبيان، ويتّخذونه غرضاً بينهم».**

وقوله عليه السلام له أيضاً: **«قطع الله رحمك، وسلّط عليك من يذبحك على فراشك».**

وقوله عليه السلام: **«اللّهمّ احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً».**

سلام الله عليك يا أبا عبد الله، فلم تنقض السنين حتى بعث الله غلام ثقيف ـ أعني المختار ابن أبي عبيدة الثقفي ـ فإنتقم منهم كما ستأتيك أخباره، وإليك التفصيل.

٢ ـ المختار مع مسلم بن عقيل:

كان المختار ابن أبي عبيدة الثقفي ممن بايع مسلم بن عقيل حين أوفده الحسين عليه السلام إلى الكوفة، وقد نزل مسلم بن عقيل حين نزل الكوفة في دار المختار، وكان المختار مناصحاً لمسلم بن عقيل في دعوته ولكنه كان يوم خروج مسلم بن عقيل خارج الكوفة في قرية تدعى لقفا، وكان خروج مسلم بن عقيل وإعلانه الحرب على عبيد الله بن زياد على غير ميعاد فعندما وصله الخبر أقبل في جماعته ومواليه إلى الكوفة يحمل راية خضراء، فوصلها بعد الغروب وكان مسلم قد إختفى حينها، فوقف المختار على باب من أبواب المسجد وأسمه باب الثعبان، ويقال له باب الفيل، لا يدري ما يصنع فأشاروا عليه بالسكون فسكن، فجاء إلى عمرو بن حريث صاحب راية عبيد الله بن زياد فسلم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح وذلك بعد

أن أُخِذ له الأمان من عمرو بن حريث على أن يشهد له عند عبيد الله بن زياد ويشفع له عنده.

٣ ـ المختار عند ابن زياد:

وبعد إرتفاع النهار فُتِح باب عبيد الله بن زياد وأذن للناس، فدخل المختار فيمن دخل، فدعاه عبيد الله بن زياد فقال له: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل، فقال له: لم أفعل، ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وبتُّ معه وأصبحت معه، فقال عمرو بن حريث: صدق، فرفع عبيد الله بن زياد القضيب وضرب به وجه المختار فخبط به عينه فشترها، وقال له: أولى لك، أما والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك، ثم أمر به إلى السجن.

٤ ـ المختار في السجن:

بقي في السجن إلى حين قُتِل الحسين عليه السلام وأحضرت السبايا إلى مجلس عبيد الله بن زياد فأمر ابن زياد بإحضار المختار، فلما أحضِر المختار

ورأى السبايا على هيئة منكرة زفر زفرة شديدة وجرى بينه وبين ابن زياد كلام أغلظ فيه المختار، فغضب ابن زياد فأرجعه إلى السجن وعزم على أن يبقيه في السجن إلى أن يموت فيه، فجعله في السجن في طامورة تحت الأرض بعشرين ذراعاً، مغلولة يده إلى عنقه، لا يستطيع الإلتفات يميناً ولا شمالاً بسبب القيد وهو مع ذلك قد أسودّ وجهه وهو جريح وجرحه يخرج القيح.

بقي المختار في سجن عبيد الله بن زياد، وكان ابن زياد لا يشك أنه يموت في حبسه، وقد جهد المختار في إيصال خبره إلى صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب ليشفع له ويسعى في إخراجه من هذا السجن ولم يجد إلى ذلك حيلة حتى يسّر الله له قضاء حاجته في قصة طريفة أدت إلى أن يشفع فيه صهره وزوج أخته عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى يزيد بن معاوية فشفعه وكتب إلى أبن زياد يأمره بتخلية سبيله، فأخلي سبيله وأجَّله ثلاثة أيام في الكوفة.وملخص هذه القصة

الطريفة التي رواها أبو مخنف أنه كان في الكوفة معلم صبيان ذو عقل وأدب وكان موالياً لأهل البيت عليهم السلام فشرب الماء مرة فقال: اللّهمّ إلعن من قتل الحسين عليه السلام ومن منعه من شرب الماء، وكان في جملة الصبيان الذين يتعلمون عند هذا المعلم ولد سنان بن أنس النخعي الملعون، فلما سمعه قال: هكذا تسب الخليفة وتلعن الأمير عبيد الله بن زياد، ثم ما لبث الصبي أن جرح نفسه بسكين وفضخ رأسه بحجر وخضب وجهه بالدم ثم مضى إلى أمه فلما رآته أمه صرخت وسألته فقال: أن المعلم شرب الماء ولعن الخليفة ولعن الأمير عبيد الله بن زياد فلما لمته على ذلك فعل بي ذلك، فما كان من أمه إلا ان أخذته بهذا الحال إلى دار ابن زياد صارخة حتى خرج سنان بن أنس وأخبرته الخبر فأدخله على ابن زياد وحكى له، فأمر ابن زياد بإحضار المعلم مكتوف اليدين مكشوف الرأس، فأحضروه على هذا الحال ثم أمر به إلى السجن حتى يسأل الشهود. فأمر أن يجعلوه في

الطامورة وكان لها ثلاثة أبواب تحت الأرض على كل باب قفل يقفل ويختم بخاتم عبيد الله بن زياد.

قال المعلم ـ وإسمه عمير بن عامر الهمداني ـ: أدخلوني الباب الأول والثاني حتى نزلت تحت الطامورة بعشرين ذراعاً، فلما نزلت لم أبصر شيئاً، فصبرت ساعة حتى أضاء بصري، فرأيت قوماً يستغيثون فلا يغاثون، وسمعت في أخر الطامورة أنيناً عالياً، فتخطّيت الرقاب حتى وصلت إلى الأنين وإذا أنا برجل مقيَّد، مغلولة يداه إلى عنقه، وهو جالس لا يقدر أن يلتفت يميناً ولا شمالاً، وهو يتنفس الصعداء، فسلمت عليه فردّ عليّ السَّلام، ورفع رأسه ونظر إليّ وإذا بشعره قد غطى عينيه ووجهه، فقلت: يا هذا، ما الذي جنيت حتى نزلت بك هذه المصيبة فقال: استوجبت ذلك لأني من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وموالي ولده الحسين عليه السلام، فقلت: من أنت من أصحاب الحسين عليه السلام؟، فقال: أنا المختار ابن أبي عبيدة

الثقفي، ثم قال المختار بعد أن عرف قصته: ليس هذا موضع المعلمين بل موضع من يأخذ بثأر الحسين عليه السلام، ولكن أنت يا عمير لا تغتم وطب نفساً وقرّ عيناً فإنك تخرج عما قريب، ولم تمض الأيام حتى صار بين المعلم والمختار علاقة، وما لبثا وهما يتحدثان أن سمعا فتح الأقفال، فقال المختار: هذه الساعة يفرّج الله عنك وتخرج، فقال عمير: والله يصعب عليّ فراقك وإن كنتُ كارهاً لهذا الموضع فلما وجدتك إشتهيت أن لا أفارقك طرفة عين، فقال المختار: أريد أن توصل إليّ ورقة ولو قدر شبر، وقلماً ولو قدر إبهام، ومداداً ولو في قشر جوزة وعندما خرج المعلم من السجن لم يكن له همَّة إلا تحقيق حاجة المختار وبذل في سبيل ذلك الأموال وصادف أن السجان ممن يوالي أهل البيت عليهم السلام ويكتم أمره، فاستطاع أن يوصل للمختار ما أراد فكتب كتابين أحدهما إلى أخته وأسمها صفية، وثانيهما إلى زوجها عبد الله بن عمربن الخطاب، أخذهما المعلم ولم يزل يجد السير أياماً

وليالي حتى وصل إلى المدينة، فدخل دار عبد الله بن عمر وكانت زوجته أخت المختار لعظيم حزنها على أخيها لا تأكل وكان زوجها يحضر غرائب الطعام مطبوخاً ومشوياً لتأكل وهي تقول: لا آكل حتى أعرف خبر أخي بأنه طيب سالم، وما أن سمعت أن رجلاً من أهل الكوفة على باب دارها حتى خفق فؤادها وخرَّت مغشياً عليها، عندما قرأ عبد الله بن عمر الكتاب بكى وخنقته العبرة ودخل على زوجته فبشّرها وأطلعها على الكتابين فبكت بكاءً شديداً وأصرّت على زوجها أن تدخل على الكوفي لتنظر إلى من نظر إلى غرَّة أخيها، فأذن لها فدخلت عليه وجلست عنده واستخبرت أخباره واستقصت حتى وصف لها كل ما هو فيه من قيد وجروح فلما سمعت خرجت صارخة فجزّت شعرها وشعر بناتها ورمت به بين يدي زوجها فقال لها: ويلك ما هذا فقالت: والله لا اجتمعت أنا وأنت تحت سقف واحد وأخي على تلك الحال، عاجل عبد الله بن عمر الرسول إلى يزيد يطلب شفاعته في

المختار وجعل مع الكتاب شعر زوجته وبناته، فلما وصل الرسول وهو هذا المعلم الكوفي إحتال بأنواع الحيل للدخول على يزيد فلما دخل وأقرأه الكتاب ورأى الشعور أصفرَّ وجهه وتغير لونه وقضى في الإفراج عن المختار وكتب بذلك كتاباً إلى عبيد الله بن زياد.

٥ ـ خروج المختار من السجن:

خرج المختار من الكوفة إلى مكة وهو يتوعد عبيد الله بن زياد ويعلن أنه سيثأر للحسين بن علي عليه السلام وأنه سيقتل عبيد الله بن زياد وسيقتل على دماء الحسين عليه السلام عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا عليه السلام.

أقبل المختار إلى مكة فبايع عبد الله بن الزبير على أن لا يقضي الأمور دونه وعلى أن يكون أول من يأذن له وأنه إذا ظهر استعان به على أفضل عمله، وبقي معه في مكة وقاتل معه أيام القتال أحسن القتال، واستمر على ذلك حتى هلك يزيد بن

معاوية وعلا شأن عبد الله بن الزبير في الحجاز والعراق، ولكن عبد الله بن الزبير لم يف للمختار بما بايعه عليه فلم يستعمله على شيء، فتركه بعد خمسة أشهر من هلاك يزيد وقدم الكوفة معلناً شعار الثأر للحسين عليه السلام.

٦ ـ المختار في الكوفة:

وكانت الشيعة في الكوفة قد أوكلت أمرها إلى سليمان بن صرد الخزاعي إلا أن المختار لم يرتض ذلك وأعلن أنه هو المتولي لأخذ الثأر وطلب من الشيعة أن يناصروه وأن يتركوا سليمان بن صرد مستنداً في ذلك إلى أسباب ثلاثة.

الأول: أنه وكيل محمَّد بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بمحمَّد ابن الحنفية فكان يقول للشيعة: إن المهدي ابن الوصي محمَّد بن علي بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفاع عن الضعفاء، وكان يقول: إني قد جئتكم من قبل ولي

الأمر ومعدن الفضل ووصي الوصي والإمام المهدي بأمر فيه الشفاء وكشف الغطاء وقتل الأعداء وتمام النعماء.

الثاني: أنه يسعى إلى الثأر بعد إحكام الأمور وأما سليمان بن صرد فإنما يسعى إلى الشهادة والتوبة، وكان المختار يقول لأصحابه: أتدرون ما يريد هذا ـ يعني سليمان بن صرد ـ إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ليس له بصر بالحروب ولا له علم بها، إني إنما أعمل مثال قد مُثّل لي وأمر قد بيِّن لي فيه عزُّ وليكم، وقتل عدوكم، وشفاء صدوركم، فاسمعوا مني قولي وأطيعوا أمري ثم أبشروا وتباشروا فإني لكم بكل ما تأملون خير زعيم.

الثالث: إن المختار كان يرى أن الثأر للحسين عليه السلام ينطلق من السيطرة على الكوفة، بخلاف مقولة سليمان بن صرد الذي كان يرى ان

الثأر ينطلق من محاربة وقتال رأس قتلة الحسين عليه السلام وهم عبيد الله بن زياد وأهل الشام.

لأجل هذه الأسباب الثلاثة مال إلى المختار جماعة من الشيعة وعقدوا عليه وبايعوه على القتال معه وتركوا سليمان بن صرد واستمر في الدعوة إلى نفسه في أصحابه إلا أنه لم يعظم أمره لأن عامة الشيعة كانت في دعوة سليمان بن صرد ولم يكن للمختار في ظل سليمان بن صرد إلا قليل من الأنصار والأعوان الذين أعتقدوا به ومالوا إليه.

٧ ـ نبوءة المختار:

إشتهر عن المختار أنه كان ومن أول أمره يتنبأ بأنه سيقتل قتلة الحسين عليه السلام وقد روى المؤرخون كثيراً من هذه النبوءات على لسان المختار، وإليك بعض كلماته:

١ ـ روى ابن العِرق مولى لبني ثقيف قال: أقبلت من الحجاز حتى إذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة استقبلت المختار ابن أبي عبيدة خارجاً يريد

الحجاز حين خلَّى سبيله ابن زياد، فلما استقبلته رحَّبت به وعطفت عليه فلما رأيت شتر عينه استرجعت له وقلت له بعدما توجَّعت له: ما بال عينك صرف الله عنك السوء، فقال: خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت إلى ما ترى، فقلت له: ما له شلّت أنامله، فقال المختار: قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأرجله وأعضاءه إرباً إرباً، فعجبت لمقالته، فقلت له: ما علمك بذلك رحمك الله، فقال لي: ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه... ثم قال المختار: إن الفتنة قد ارعدت وأبرقت وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها، فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقل: إن المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدها الحسين بن علي عليه السلام، فوربك لأقتلن بقتله عدّة القتلى التي قُتلت على دم يحيى بن زكريا عليه السلام، فقلت له: سبحان الله، وهذه الأعجوبة مع الأحدوثة

الأولى فقال: هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه.

٢ ـ وعندما كان في مكة مضى فاستوطن في ثقيف مدة فكان يقول لهم: أنا صاحب الغضب ومبير الجبارين.

٣ ـ دخل عليه يحيى بن أبي عيسى وحميد بن مسلم الأزدي وهو في سجن الكوفة فقال لهما: أما ورب البحار والنخيل والأشجار والمهامة والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبّار بكل لدن خطّار ومهنّد بتّار جموع من الأنصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار حتى إذا أقمت عمود الدين ورأيت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بثأر النبيين لم يكبر عليّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى.

٨ ـ سر النبوءات:

أستغلّ أعداء المختار هذه النبوءات ليصفوه بالكهانة وهو وصف مقارن للكذب والكفر في

اذهان المسلمين في تلك الأيام، وبذلك أستطاعوا أن يشيعوا بين الناس أنه كاهن كاذب سجَّاع كافر، ومن ثم نشروا عنه أكاذيب وأفعال وأوصاف غريبة لا أصدّق شيئاً منها ولا أراه إلا مسلماً ثار للثأر بدماء الحسين عليه السلام وفقه الله إلى النصر، ولعل السبب في هذه النبوءات الصادرة من المختار هي أن يكون المختار قد سمع بذلك من الصادقين من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ولنا في ذلك خبر يقول بأنه عندما كان المختار في سجن ابن زياد كان في السجن معه عبد الله بن الحارث بن نوفل وصاحب علي عليه السلام ميثم التمار، فطلب عبد الله بن الحارث حديدة يزيل بها شعر بدنه يتهيأ للموت وقال: لا آمن من ابن زياد القتل فأكون قد ألقيت ما على بدني من الشعر، فقال ميثم للمختار وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام وتقتل هذا الذي يريد قتلنا ـ عبيد الله بن زياد ـ وتطأ بقدميك على وجنتيه.

* * *

الفصل الثاني

دعوة المختار

١ ـ نداء المختار:

عندما خرج سليمان بن صرد الخزاعي مع جماعة الشيعة من الكوفة إلى قتال عبيد الله بن زياد استغل أنصار عبد الله بن الزبير وقتلة الحسين عليه السلام ووالي الكوفة عبد الله بن يزيد هذا الأمر أعني غياب الشيعة من الكوفة فمشى عمر بن سعد وشبث بن ربعي ويزيد بن الحارث وهم من قتلة الحسين عليه السلام، مشوا إلى والي الكوفة عبد الله بن يزيد الأنصاري فقالوا له: إن المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد، إن سليمان بن صرد إنما خرج

يقاتل عدوكم ويذللهم لكم وقد خرج عن بلادكم، وإن المختار إنما يريد أن يثب عليكم في مصركم فسيروا إليه فأوثقوه في الحديد وخلّدوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس، فساروا إليه فما شعر المختار إلا وقد أحاطوا به وبداره، فاستخرجوه وسجنوه وبقي في السجن إلى حين وصل الخبر إليه بعودة رفاعة بن شداد على رأس التوابين المنسحبين من معركة عين الوردة، فكتب المختار إلى رفاعة بن شداد من السجن.

أما بعد فمرحباً بالعُصَب الذين أعظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ورضي انصرافهم حين قفلوا، أما ورب البنية ما خطا خاط منكم خطوة ولا رتا رتوة إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا، إن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون، إني أنا الأمير المأمور والأمين المأمون، وأمير الجيش وقاتل

الجبارين والمنتقم من أعداء الدين والمقيد من الأوتار، فأعدُّوا واستعدوا وابشروا واستبشروا، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى الطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسَّلام.

وكتب بنحو ذلك إلى المثنى بن مخرِّبة العبدي في البصرة وإلى سعد ابن حذيفة بن اليمان في البصرة وإلى يزيد بن أنس وجماعة من أعيان الشيعة.

٢ ـ إجابة الشيعة:

فكتبوا إليه وهو في السجن يقبلون دعوته ـ وأنهم مجتمعون عليه وإن شاء أخرجوه من السجن فاستمهلهم، ولم يلبث أن شفع فيه عبد الله بن عمر ابن الخطاب عند وال الكوفة عبد الله بن يزيد وصاحبه إبراهيم بن محمَّد بن طلحة فأخرجاه من السجن بعد أن حلف لهما أنه لا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فإن هو فعل فعليه ألف بدنة

ينحرها لدى رتاج الكعبة ومماليكه كلهم ذكرهم وأنثاهم أحراراً.

٣ ـ الإستئذان من محمَّد ابن الحنفية:

بعد إستشهاد سليمان بن صرد تعاظمت دعوة المختار وهو في السجن فانتشر دعاته يبايعون الناس له، فلم يزل أصحابه يكثرون وأمره يتعاظم وهو في السجن، وبعد خروجه من السجن عظمت شوكته وأجمعت عليه الشيعة وقوي جانبه، وكان الذي قوَّى جانبه، وشدّد أمره أن جماعة من أكابر الشيعة ووجهائهم إجتمعوا في منزل سعر ابن أبي سعر الحنفي فقال جماعة منهم عبد الرحمن بن شريح الشبامي الهمداني: إن المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا محمَّد ابن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا وبما دعانا إليه، فإن رخص لنا في إتّباعه أتبعناه، وإن نهانا عنه إجتنبناه، فأجمع رأيهم على تعجيل الخروج فخرجوا حتى لقوا محمَّد ابن

الحنفية فقالوا له: أما بعد، فإنكم أهل بيت خصّكم الله بالفضيلة وشرّفكم بالنبوة وعظّم حقكم على هذه الأمة فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي مخسوس النصيب، قد أصبتم بحسين عليه السلام عظمت مصيبة اختُصِصتم بها بعدما عمّ بها المسلمون، وقد قدم علينا المختار ابن أبي عبيدة يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء، فبايعناه على ذلك، ثم إنا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه وندبنا له فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه وإن نهيتنا عنه اجتنبناه.

فقال لهم محمَّد ابن الحنفية: أما بعد فأما ما ذكرتم ما خصّصنا الله به من فضل فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلله الحمد، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بالحسين عليه السلام فإن ذلك كان في الذكر الحكيم وهي ملحمة كُتبت عليه وكرامة أهداها الله له، رفع بما كان منها درجات قوم عنده

ووضع بها آخرين وكان أمر الله مفعولاً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله إنتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وكانت هذه الكلمة من ابن الحنفية أكثر من كافية شافية إذ هي إذن صريح بقبول هذه الدعوة، فخرج هؤلاء الأشراف قد فهموا الإذن.

٤ ـ الإستئذان من زين العابدين عليه السلام:

روى جعفر بن نما أن محمَّد بن الحنفية لم يأذن من رأسه بل قال لوفد الكوفة: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين عليه السلام فلما دخلوا عليه وأخبروه خبرهم الذي جاؤوا لأجله قال عليه السلام: يا عم، لو أن عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت، فخرج وفد الكوفة وهم يقولون أذن لنا زين العابدين عليه السلام ومحمَّد ابن الحنفية.

٦ ـ إجتماع الشيعة على المختار:

جاء الوفد إلى الكوفة وكثير من الشيعة ينتظرون مقدمهم ليعلموا الخبر، لكنهم دخلوا على المختار قبل أن يدخلوا على بيوتهم وقالوا له: قد أمرنا بنصرتك، فقال: الله أكبر أنا أبو إسحاق، إجمعوا إليّ الشيعة.

فجُمع له من كان قريباً من الشيعة فقام المختار فقال: يا معشر الشيعة، إن نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا إلى إمام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى حاشا النبي المجتبى فسألوه عما قدمت به عليكم فنبّأهم إني وزيره وظهيره ورسوله وخليله وأمركم بإتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفى.

فقام هؤلاء الأشراف واحداً واحداً كل منهم يقرر ويقول بأنهم قدموا على محمَّد بن علي عليه السلام وأمرهم بمناصرة المختار ومؤازرته.

عند ذلك استجمعت الشيعة للمختار وأطبقوا على طاعته ومؤازرته والإنقياد له.

٦ـ إبراهيم بن مالك الأشتر:

إنقادت الشيعة إلى المختار ولم يبق منهم إلا إبراهيم بن مالك الأشتر وهو أحد أهم زعماء الشيعة ورؤساء عشائر اليمن وابن مالك الأشتر البطل المشهور الذي كان سيد الكوفة وعشائرها بلا منازع على الإطلاق.

وقد كان همّ المختار أن ينطلق بثورته دون إبراهيم الأشتر إلا أن جماعة من أصحابه نصحوه وقالوا له: إن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القوة على عدونا وألا يضرنا خلاف من خالفنا فإنه فتى بئيس وابن رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عز وعدد.

فأمرهم المختار أن ينطلقوا ويسألوه النصرة، فجاؤوا إليه وقالوا له: إنا ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه الملأ من الشيعة إلى كتاب الله وسنة نبيه

والطلب بدماء أهل البيت وقتال المحلّين والدفاع عن الضعفاء، وقال له بعضهم: إن أباك قد هلك وهو سيد الناس وفيك منه ـ إن رعيت حق الله ـ خَلَف، قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس وأحييت من ذلك أمراً قد مات، إنما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها، إنه قد بني أولك مفتخراً.

فأجابهم الأشتر إلى دعوتهم إلا أنه رفض قيادة المختار فقال لهم: إني قد أجبتكم إلى ما وعدتموني إليه من الطلب بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته على أن تولوني الأمر، فقالوا له: أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي وهو الرسول والمأمور بالقتال، وقد أمرنا بطاعته.

فلم يرتض الأشتر ولم يوافق وانصرفوا عنه خائبين، ورجعوا إلى المختار الذي أصرّ على إبراهيم فانتظر أياماً ثم جاءه مع أصحابه فلم

يعلموا إلا وهم على باب إبراهيم بن مالك الأشتر، فاستأذنوا ودخلوا وجلس المختار على فراش إبراهيم وقال: الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وصلى الله على محمَّد والسَّلام عليه أما بعد، فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمَّد ابن أمير المؤمنين الوصي عليه السلام، وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله، وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا فإن فعلت اغتُبِطت، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني الله محمَّداً وأولياءه عنك. ثم أراه الكتاب فإذا فيه:

٧- كتاب محمَّد ابن الحنفية إلى الأشتر:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمَّد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيِّي الذي إرتضيته لنفسي، وقد أمرته بقتال عدوي والطلب

بدماء أهل بيتي، فإنهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك، فإنك إن نصرتني وأجبت دعوتي وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة، ولك بذلك أعنّة الخيل وكل جيش غازٍ وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام، عليّ الوفاء بذلك على عهد الله، فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيله أبداً والسَّلام عليك.

٨ ـ موافقة ابن الأشتر:

فلما إنتهى إبراهيم من قراءة الكتاب إرتاب أن يكون كتبه محمَّد ابن الحنفية فقال: فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إليّ فقام جماعة من سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب (بضعة عشر نفراً) فقالوا: نشهد أن هذا كتاب محمَّد بن علي عليه السلام إليك.

قَبِل إبراهيم شهادتهم فقام عن مجلسه وأجلس عليه المختار وبايعه ودعا عشيرته وإخوانه ومن

يطيعه إلى طاعة المختار وأمسى إبراهيم الأشتر يروح كل عشية إلى المختار، وببيعة إبراهيم تمت العدة فتشاوروا في أمرهم واجتمع رأيهم على الثورة وحددوا الوقت ليلة الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة ستة وستين.

* * *

الفصل الثالث

ثورة المختار

١ ـ الثورة:

هيأ المختار عدة الثورة واختلف إليه رجاله وأحصي عدد الذين بايعوه على الثورة إثنا عشر ألف رجل، فعلمت شرطة الكوفة بذلك وكان على رأس الشرطة إياس بن مضارب فجاء إلى والي الكوفة عبد الله بن مطيع فقال له: إن المختار خارج عليك إحدى الليلتين، ثم قال له: لو بعثت في كل جبّانة بالكوفة عظيمة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة هاب المريب الخروج عليك.

٢ ـ إستنفار السلطة:

وهكذا قررت قيادة الكوفة استنفار رجالها وهم عشرات الآلاف (أي سائر مجتمع الكوفة عدا الشيعة منهم) والسيطرة على طرق الكوفة الداخلية ومداخلها ومخارجها وجبّاناتها ومواضع الإجتماع وجمع رجال الكوفة ومنع الحركة.

فكانت الرؤوس هم إياس بن مضارب على رأس الشرطة كلها، وراشد ابنه في كناسة الكوفة وحول السوق، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني في جبّانة السبيع، وكعب ابن أبي كعب الخثعمي في جبانة بشر، وزخر بن قيس في جبانة كندة، وشمر بن ذي الجوشن في جبانة سالم، وعبد الرحمن بن مخنف بن سليم الأزدي في جبانة الصائديين، ويزيد بن الحارث بن رؤييم في جبانة مراد، وشبث بن ربعي في السّبخة، وكل هؤلاء رؤوس عشائر مطيعون لوالي الكوفة أعداء للشيعة وللمختار ومعظمهم من قتلة الحسين عليه السلام ولذا كانوا

عازمين على منع قومهم أو غيرهم من أي حدث فملؤوا هذه الجبابين وحشوها من العسكر.

وكان هذا الإستنفار يوم الإثنين أي قبل ثلاثة أيام من الموعد المحدد لثورة المختار.

٣ ـ شرارة الثورة:

ولكن قبل ليلة واحدة من الموعد المقرر للثورة فيما كان إبراهيم بن مالك الأشتر يسير إلى دار المختار على رأس كتيبة من أصحابه نحو مائة مقاتل عليهم الدروع تحت الأقبية وليس معهم سلاح إلا السيوف، وكان إبراهيم قد أنف أن يخضع لاستنفار السلطة وإرهابها فأبى إلا أن يسير بهذا النحو وإلا أن يمر وسط الكوفة جانب القصر ووسط السوق، فرآه إياس بن مضارب رئيس الشرطة فقال للجمع: من أنتم؟ ما أنتم؟ فقال له إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر، فقال إياس: ما هذا الجمع معك؟ وما تريد؟ والله إن أمرك لمريب، وقد بلغني أنك تمرّ كل عشية ههنا، وما أنا بتاركك حتى أتي بك الأمير فيرى فيك رأيه، فقال إبراهيم: لا أبا

لغيرك، خلِّ سبيلنا، فقال إياس: كلا والله لا أفعل، فقال إبراهيم لصديق له من الشرط من أصحاب إياس إسمه أبو قطن ومعه رمح طويل: أدنُ منّي، فظن أبو قطن أنه يريد أن يجعله شفيعه لأنه صديقه، فدنا منه فتكلم معه وتناول إبراهيم الرمح من يد أبي قطن وقال: إن رمحك هذا الطويل، فعاجله وأخذه وقال لإياس بن مضارب: يا عدو الله، ألست من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ثم حمل بالرمح على إياس بن مضارب فطعنه في نحره، وصرعه، وقال لرجل من قومه: أنزل عليه فأحتز رأسه، فنزل واحتز رأسه وتفرقت الشرطة.

ومضى إبراهيم إلى المختار فقال له: حدث أمر لا بدّ من الخروج الليلة، قال المختار ما هو؟ قال إبراهيم: عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه فقتلته وهذا رأسه مع أصحابي على الباب، فقال المختار: بشّرك الله بالخير، فهذا طير صالح، وهذا أول الفتح إن شاء الله.

٤ ـ إندلاع الثورة:

وهكذا أعلن المختار ساعة الثورة وأمر فنادوا بشعارهم المشهود (يا منصور أمت) وأشعلوا النيران ورفعوها للمسلمين، ونادى المنادي: يا لثارات الحسين عليه السلام، وكانت الخطة أن يبقى المختار في داره يضم إليه من يأتيه من الشيعة وأن يدور إبراهيم الأشتر في نواحي الكوفة وفي قومه لينضم إليه من لا يتمكن من المجيء إلى دار المختار حذراً من رجال ابن مطيع المنتشرين في كل نواحي الكوفة ولا سيما بعد مقتل إياس، ثم يرجع إلى المختار بمن إنضم إليه.

خرج إبراهيم الأشتر في كتيبته يسير في سكك الكوفة طويلاً من الليل فمرّ في مسجد السكون وجبَّانة كندة وجبّانة أثير ووصل الكناسة ولم يدخلها ثم مرّ بمسجد الأشعث، وقد إلتقى في أثناء سيره هذا كتائب وخيول للأعداء فكان يشد عليهم ويهزمهم، وربما شد على كتائب تفوقه عدة وعدداً

فيهزمهم ويشردهم ويقول لأصحابه: يا شرطة الله إنزلوا فإنكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله ﷺ، ولقد تعجب أعداؤه من هذه الإنتصارات التي يحققها الأشتر حتى قالوا: إن هذا الأمر يراد، ما يلقون لنا جماعة إلا هزموهم.

ثم رجع إبراهيم الأشتر إلى دار المختار فوجد الأصوات عالية والقوم يقتتلون يحاصرهم شبث بن ربعي وحجَّار بن أبجر، فعندما علموا بمجيء إبراهيم الأشتر من خلفهم تفرقوا وذهبوا في الأزقة والسكك.

وعندما إجتمع إبراهيم بالمختار قررا الخروج من الدار إلى السبخة في ظهر دير هند وأرسلوا كتائب تدور في الأحياء لتخبر الشيعة بموقع المختار ومن هؤلاء، أبو عثمان النهدي الذي خرج في جماعة من أصحابه ينادي: يا منصور أمت ويا لثارات الحسين عليه السلام، ألا أن أمير آل محمَّد ﷺ

ووزيرهم قد خرج من منزل دير هند وبعثني إليكم داعياً ومبشراً، فأخرجوا إليه يرحمكم الله، فخرجت الشيعة من بيوتهم يتداعون وينادون: يا لثارات الحسين، وقاتلوا من منعهم حتى خُلي لهم الطريق، فلم ينبلج الفجر حتى كان قد إجتمع للمختار ثلاثة آلاف وثمانمائة مقاتل من أصل إثني عشر ألفاً بايعوه.

وكانت هذه الليلة ليلة ليلاء مهولة شبّهوا القتال فيها بالقتال ليلة الهرير في صفين لهولها وشدتها ولولا بأس الشيعة وصبرهم وما أبلوه ولا سيما الأشتر والمختار وغيرهم من صناديد الشيعة لما كان بالإمكان لهم أن يصمدوا هذه الليلة.

ويروى أن ممن إنضم في هذه الليلة إلى جانب المختار عبد الله بن الحر الجعفي فجاء في قومه وقاتل قتالاً شديداً.

٥ ـ الإنتصار الأول:

علم والي الكوفة عبد الله بن مطيع بخروج

المختار وبمقتل إياس بن مضارب رئيس شرطته فولّى مكانه ابنه راشد بن إياس في نفس الليلة وأمر فنادى المنادي: ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة، فتوافى الناس إلى المسجد، فبعث شبث بن ربعي في ثلاثة آلاف، وراشد بن إياس في أربعة آلاف وبعث حسان بن فائد العبسي في ألفين، وعمرو بن الحجاج في ألفين، وشمر بن ذي الجوشن في ألفين، ونوفل بن مساحق بن مخرمة في خمسة آلاف، فكانت عساكر الكوفة الذين حاربهم المختار نحواً من عشرين ألف مقاتل، فأرسل المختار إبراهيم الأشتر ليقاتل راشد بن إياس، ونعيم بن هبيرة ليقاتل شبث بن ربعي فهزم وقُتل نعيم بن هبيرة وأسر أصحابه وتفرّق الباقي، فوصل خبر هزيمته إلى المختار وأصحابه فدخلهم هم عظيم، وجاءهم شبث بن ربعي فحاصرهم، وأما إبراهيم الأشتر فإنه لقي راشد بن إياس بن مراد فقال لأصحابه: لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لرب رجل خير من عشرة، ولرب فئة قليلة قد غلبت فئة

كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ثم شدوا عليهم واشتد القتال فما لبث أن قتلوا راشد ابن إياس وانهزم أصحابه.

ثم مضى إبراهيم بن الأشتر فوافى حسان بن فائد العبسي فما لبث هزمه وأسر حسان بن فائد ثم آمنوه فأطلقوا سراحه.

لما وصل الخبر بهذه الإنتصارات إلى أصحاب المختار المحصورين كبّروا وصمدوا واستعدوا للحملة على شبث بن ربعي وجثوا على الركب وهم كذلك فإذا بإبراهيم الأشتر وأصحابه قد حملوا على شبث بن ربعي من خلفهم فحمل أصحاب المختار من أمامهم فانهزم شبث بن ربعي وأصحابه حتى دخلوا بيوت الكوفة.

٦ ـ السيطرة على الكوفة:

وبهذا يتحقق الإنتصار الأول على جيوش الكوفة إذ رجعت هذه الآلاف منهزمة إلى ابن مطيع وقد فتّ في أعضادهم مقتل راشد بن إياس،

إجتمعت جماعة المختار خارج الكوفة عند مسجد وبيوت مزينة وأحمس وبارق، واجتمعت جماعة ابن مطيع في وسط الكوفة أرادوا إعادة تنظيم صفوفهم، فقال إبراهيم الأشتر للمختار: قد هزمهم الله وفلّهم وأدخل الرعب قلوبهم وتنزل ههنا !! سر بنا فوالله ما دو القصر أحد يمنع ولا يمتنع كثير إمتناع.

قبل المختار هذه النصيحة وبذلك تم القرار بالزحف نحو القصر وأي جيش للعدو يجدوه في الطريق لا يصمدوا له بل يسرّحوا له كتيبة من كتائبهم ويستمروا بالمسير نحو القصر ليقتحموه، وهذا ما حدث إذ أمر المختار كل جريح أو ذي علة أو كبير السن أن يبقى في الموضع ويضع الباقي فيه وكل متاع وثقل وساروا إلى داخل الكوفة على مقدمتهم إبراهيم الأشتر.

في طريقهم إلتقوا بعمرو بن الحجاج فتركوا له يزيد بن أنس ليصمد له واستمروا بالمسير، ثم إلتقوا بشمر بن ذي الجوشن فتركوا له سعيد بن منقذ

الهمداني واستمروا بالمسير، فإلتقوا نوفل بن مساحق في خمسة آلاف فاصطفّ له إبراهيم بن الأشتر وأمر الخيول وقرّبها من بعضها ثم قال: إمشوا إليهم مصلتين بالسيوف ولا يهولنكم أن يقال جاءكم شبث بن ربعي وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث وآل يزيد بن الحارث وآل فلان فسمى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ثم قال: إن هؤلاء لو قد وجدوا حر السيوف قد أنصفقوا عن ابن مطيع إنصفاق المعزى عن الذئب، ثم هيأ نفسه ثم شد على القوم وقال: شدّوا عليهم فدى لكم عمي وخالي، فما لبث أن هزمهم وركب بعضهم بعضاً، ووصل الأشتر إلى نوفل بن مساحق فأخذ بلجام دابته ورفع السيف عليه ليضربه، فقال ابن مساحق: يا بن الأشتر أنشدك الله، أتطلبني بالثأر، هل بيني وبينك من إحنة، فخلى ابن الأشتر سبيله وقال له: أذكرها.

٧ ـ استسلام السلطة:

وبهذه الهزيمة لم يبق بين الأشتر وبين القصر أحد فساروا ودخلوا الكناسة ثم السوق والمسجد ثم حاصروا القصر وتفرقت شراذمة الناس والشرطة وغيرها ولم يبق مع ابن مطيع في القصر إلا جماعة من أعيان ووجهاء الكوفة والكل محاصر غير قادر على أي فعل وقد جاء بقية المبايعين إلى المختار حتى أستتموا عشرة آلاف.

أستمر الحصار ثلاثة أيام وبعدها فرّ ابن مطيع خارج القصر وإختبأ في دار أبي موسى، وأما بقية من في القصر فإنهم أخذوا الأمان من ابن الأشتر، ثم فتحوا القصر وخرجوا منه ودخله المختار وبايعه الناس وأشراف الكوفة.

وبذلك تم إنتصار المختار وسيطرته على الكوفة وبث عماله في أذربايجان وأرمينية وجوخى وحلوان وغيرها من نواحي أعمال الكوفة.

٨ ـ نصرة أهل البيت عليهم السلام:

كان عبد الله بن الزبير كما تقدم قد بويع له بالخلافة وأستولى على الحجاز وعلى بصرة العراق، وكان هذا الرجل من ألد أعداء آل محمَّد عليهم السلام وكان يهددهم ويتوعدهم حتى يبايعوا له، وهم يأبون ذلك إلى أن حاصرهم في مكة وهدّدهم بالقتل والحرق بالنار إن لم يبايعوا، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم، وضرب لهم أجلاً.

فبعث محمَّد ابن الحنفية ثلاثة رجال من أصحابه إلى المختار وإلى من بالكوفة يعلمهم الحال ويسألهم أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين عليه السلام وأهل بيته، وصل الرسل إلى المختار فدفعوا إليه الكتاب فبكى ونادى في الناس فجمعهم وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا كتاب مهديكم وصريخ أهل بيت نبيكم عليهم السلام وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار ...

فانتدب من الشيعة أربعة آلاف على رأسهم أبو عبد الله الجدلي إلا أنه سرحهم قطعات قطعات تتلو بعضها بعضاً، المائة ونحوها.

فجدّ أبو عبد الله الجدلي السير بمن معه من أولي القوة ما يقارب المائة والخمسين، فوصل إلى المسجد الحرام فدخل هو وأصحابه المسجد وهم ينادون: يا لثارات الحسين عليه السلام، فانتهوا إلى زمزم قبل أجل التحريق بيومين ووجدوا الحطب قد أحاط بذرية آل محمَّد عليهم السلام ليشعل به عند إنقضاء الأجل، فطردوا الحرس، وطمع بهم ابن الزبير ظناً منه أن هؤلاء كل الجيش وكاد يقاتهلم عند المسجد الحرام لكن ما لبث أن بدأت الرايات تصل تباعاً، فوصل أبو المعتمر في مائة، وهانئ بن قيس في مائة، وظبيان ابن عمارة في مائتين، دخلوا المسجد يكبرون وينادون: يا لثارات الحسين عليه السلام، ولم تمض الأيام حتى إجتمع مع محمَّد ابن الحنفية أربعة آلاف رجل فهابه ابن الزبير وكف عنه.

ثم بعث المختار بجيش من ثلاثة آلاف على رأسهم شرحبيل بن ورس إلى المدينة، فإلتقى بجيش للزبير على رأسه عباس بن سهل بن سعد بالرقيم فكايدهم عباس بن سهل وأخذهم غيلة فأفنى الجيش عن آخره إلا ثلاثمائة رجل تمكنوا من الفرار وقتل شرحبيل بن ورس.

* * *

الفصل الرابع

القصاص من قتلة الحسين عليه السلام

١ ـ النبوءة بقتل قتلة الحسين عليه السلام:

ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال عن الحسين عليه السلام: اللَّهمّ أخذل من خذله، وأقتل من قتله، وأذبح من ذبحه، ولا تمتعه بما طلب.

كما ورد عن الحسين عليه السلام أنه قال في كربلاء يدعو على جيش اليزيديين: اللَّهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً.

وما كان الله تعالى بالذي يخيّب عبده فاستجاب لرسوله صلى الله عليه وآله كما استجاب للحسين عليه السلام، ولم تمض

السنون حتى أذن الله بفناء القتلة أعداء الله بأن سلّط عليهم شيعة آل البيت الأطهار.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: تظاهرت الأخبار أنه لم ينج أحد من قاتلي الحسين عليه السلام من قتل أو بلاء أفتضح به قبل موته.

٢ ـ إنتقام الله تعالى:

لقد أنتقم الله تعالى من قتلة الحسين عليه السلام بطرق شتى وسنتعرض في هذا البحث لمن إنتقم الله منه بطريقة إعجازية، ولن نستطيع أن نذكر كافة الأخبار والحكايات الواردة في هذا الشأن نظراً إلى كثرتها وضعف أسانيد أو رواة بعضها فمن أراد تتبعها فليراجع مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني فقد ذكر من ذلك الشيء الكثير إلا أننا لن نخلي كتابنا من اليسير تبركاً، فنقول:

١ ـ روي عن عبد الله بن رباح القاضي قال: لقيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام فسئل عن بصره، فقال: كنت شهدت قتله عاشر عشرة غير

أني لم أطعن برمح ولم أضرب بسيف ولم أرم بسهم فلما قُتِل رجعت إلى منزلي وصليت العشاء الآخرة ونمت، فأتاني آت في منامي فقال: أجب رسول الله عليه السلام، فقلت: مالي وله، فأخذ بتلابيبي وجرّني إليه فإذا النبي عليه السلام جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه آخذ بحربة وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار يقتل أصحابي العشرة، فكلما ضرب ضربة إلتهبت أنفسهم ناراً، فدنوت منه وجثوت بين يديه وقلت: السَّلام عليك يا رسول الله عليه السلام، فلم يرد عليّ، ومكث طويلاً ثم رفع رأسه وقال: يا عدو الله، إنتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقي وفعلت وفعلت، فقلت: يا رسول الله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، فقال: صدقت ولكنك كثّرت السواد، أدنُ مني فدنوت منه، فإذا طست مملوء دماً، فقال لي: هذا دم ولدي الحسين عليه السلام، فكحلني من ذلك الدم، فانتبهت وحتى الساعة لا أبصر شيئاً.

٢ ـ وروي عن رجل من بني أبان بن دارم قد أسودَّ وجهه بعد أن كان جميلاً شديد البياض، فقيل له في ذلك، فقال: إني قتلت شاباً أمرد (أبيض) مع الحسين عليه السلام بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها، فأصبح فما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي، وقالت جاريته: ما يدعنا ننام الليل من صياحه، وسألوا إمرأته، فقالت: قد أبدى على نفسه، قد صدقكم.

٣ ـ وكان رجل لا تزال تفوح منه رائحة القطران فسألوه فأخبرهم أنه كان يبيع أوتاد الحديد في جيش عمر بن سعد لعنه الله فرأى في منامه علياً عليه السلام فسقاه قدحاً من القطران فلما إستيقظ ما زال يبول القطران ثلاثة أيام ثم إنقطع البول وما زالت تفوح منه رائحة القطران أبداً.

٤ ـ وقالت جارية: كان عندنا رجل خرج على الحسين عليه السلام بجمل وزعفران، قالت: فلما دقّوا

الزعفران صار ناراً، قالت: فجعلت المرأة تأخذ منه الشيء فتلطخه على يدها فيصير منه برص، قالت: ونحروا البعير فلما جزّوا بالسكين صار مكانها ناراً وجعلوا يسلخونه فيصير مكانه ناراً، قالت: فقطعوه فخرج منه النار، قالت: فطبخوه ففارت القدر ناراً فجعلوه في الجفنة فصار ناراً.

٥ ـ وعن السدي أنه سمر في طف كربلاء وكان قريب العهد من قتل الحسين عليه السلام وكان سميره الأخنس بن زيد وهو الذي أمر على الخيل الذين أمرهم عمر بن سعد بوطي جسد الحسين عليه السلام بسنابك الخيل وهشَّم أضلاعه وخرم أذني صفية بنت الحسين لقرطين كانا في أذنيها، وجرَّ نطعاً من تحت علي بن الحسين عليه السلام وهو عليل فكبَّه على وجهه.

فقال السدي: فتأوهت الصعداء وتزفرت كملاً، فقال الأخنس: ما بالك فقد ذكرت مصاباً يهون عنده كل مصاب، ثم قال: أما كنت حاضراً يوم الطف؟ فقال السدي: لا، والحمد لله، فقال: أراك

تحمد الله على أي شيء؟ قال السدي: على الخلاص من دم الحسين عليه السلام لأن جدّه عليه السلام قال: إن من طولب بدم ولدي الحسين عليه السلام يوم القيامة لخفيف الميزان ثم ساق أحاديث أخرى في عقوبة قتلة الحسين عليه السلام، فقال الأخنس: لا تصدق هذا الكلام يا أخي ثم قال: ترى قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قاتل ولدي الحسين عليه السلام لا يطول عمره وها أنا وحقك قد تجاوزت التسعين ثمَّ ساق إجرامه بحق الحسين عليه السلام وأهله.

قال السدي: فبكى قلبي هجوعاً وعيناي دموعاً وخرجت أعالج على إهلاكه وإذا السراج قد ضعفت فقمت أزهرها، فقال: إجلس ـ وهو يحكي متعجباً من نفسه وسلامته ـ ومد إصبعه ليزهرها فاشتعلت به ففركها في التراب فلم تنطفء، فصاح بي: أدركني يا أخي فكببت الشربة عليها وأنا غير محب لذلك، فلما شمّت النار رائحة الماء إزدادت قوة، وصاح بي: ما

هذه النار، وما يطفئها ؟؟ قلت: ألق نفسك في النهر، فرمى بنفسه، فكلما ركس جسمه في الماء اشتعلت في جميع بدنه كالخشبة البالية في الريح البارد، هذا وأنا أنظره، فوالله الذي لا إله إلا هو لم تطفأ حتى صار فحماً وسار على وجه الماء ألا لعنة الله على الظالمين وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

٦ ـ ومن الذين عجّل الله تعالى نقمته عليهم رجل يقال له ابن أبي جويرية المزني وهذا الرجل قتله الله في عرصة كربلاء عندما أوقد الحسين عليه السلام وأصحابه النار من خلفهم فلما نظر هذا الرجل إلى النار تتقد صفق بيده ونادى: يا حسين وأصحاب الحسين أبشروا بالنار فقد تعجلتموها في الدنيا، فقال الحسين عليه السلام: من الرجل، فقيل له: ابن أبي جويرية المزني، فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ أذقه عذاب النار في الدنيا، فنفر به فرسه فألقاه في تلك النار فإحترق في الدنيا قبل نار جهنم لعنه الله وأرداه.

٧ ـ ويحكى مثل ذلك عن ابن خوزة التميمي الذي دعا عليه الحسين عليه السلام فقال: اللّهمّ جره إلى النار، فاضطرب به فرسه في جدول فوقع وتعلّقت رجله اليسرى في الركاب وارتفعت اليمنى وشدّ عليه مسلم بن عوسجة فضرب رجله اليمنى فأطارت، وعدا به فرسه فضرب برأسه كل حجر وكل شجر حتى مات.

٨ ـ ورجل آخر يقال له: تميم بن الحصين الفزاري نادى في عرصة كربلاء: يا حسين ويا أصحاب الحسين، أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيات، والله لا ذقتم منه قطرة حتى تذوقوا الموت جزعاً، فقال الحسين عليه السلام: من الرجل، فقيل: تميم بن حصين، فقال الحسين عليه السلام: هذا وأبوه من أهل النار، اللّهمّ أقتل هذا عطشاً في هذا اليوم، فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه فوطئته الخيل بسنابكها فمات إلى لعنة الله.

٩ ـ ويحكى مثل هذا الحديث عن عبد الله بن الحصين الأزدي البجلي الذي نادى بأعلى صوته:

يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشاً، فقال الحسين عليه السلام: اللَّهمّ أقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً، قال حميد بن مسلم والله لعدته في مرضه بعد ذلك فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيته يشرب الماء حتى يبغر ثم يقيئه ويصيح العطش العطش ثم يعود ويشرب حتى يبغر ثم يقيئه ويتلظى عطشاً، فما زال ذلك دأبه حتى لفظ أنفاسه.

٣ ـ ثورة الأشرار قتلة الحسين عليه السلام:

بعد أن استتبَّ الأمر في الكوفة ونواحيها لزعامة المختار بدأ في مواجهة جيش الشام القادم بزعامة عبيد الله بن زياد، فأرسل يزيد بن أنس في حملة سيأتي بيانها إلا أن يزيد بن أنس مات مريضاً فرجع أصحابه وتفرق بعضهم، فكان الخبر عظيماً عند أهل الكوفة، فأمر المختار إبراهيم الأشتر أن يخرج في سبعة آلاف رجل ويضم إليه جيش يزيد بن أنس فخرج إبراهيم الأشترمن الكوفة، وعندما خرج

إبراهيم الأشتر طمع أعداء المختار وقتلة الحسين عليه السلام أن ينالوا من المختار، وإجتمع شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمَّد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وكعب ابن أبي كعب وعبد الرحمن بن مخنف وغيرهم ممن كان من أعوان بني أمية وممن إشترك في قتل الحسين عليه السلام كحجار بن أبجر وعمرو بن الحجاج وعزموا على الخروج على المختار.

انتظروا حتى ابتعد إبراهيم الأشتر ووصل إلى ساباط فخرجوا وأخذوا الجبابين كجبانة السبيع وجبانة كندة وجبانة بشر وجبانة مخنف وجبانة بني سلول وجبانة مراد كما أخذوا الكناسة والتمارين والسبخة.

عندما رأى المختار هذه الثورة العظيمة الخطر بعث رسولاً فأمره أن يسرع إلى إبراهيم الأشتر ليبلغه كتابه، وفي الكتاب: أن لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إليّ، هذا من جهة

ومن جهة أخرى فإن المختار صار يماطل مع أعدائه ويمنّيهم أنه يفعل ما يحبون.

وصل رسول المختار إلى إبراهيم الأشتر عشية اليوم، فلما وصل الخبر إلى إبراهيم سار من نفس هذه العشية حين بلغه الخبر، وسار الليل كله لم يسترح إلا إستراحة كلا استراحة، حتى وصل صباحاً إلى سوراً، ومنها سار بقية يومه حتى بات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد.

وفي صبيحة اليوم الثالث وقعت الواقعة وهزم إبراهيم بن الأشتر قبائل مضر وعليها شبث بن ربعي ولم ينقض النهار حتى تم القضاء على ثورة الجبارين، وأحصي عدد من قتل من الخارجين في هذه الوقعة فكان ستمائة وأربعين رجلاً، فنادى منادي المختار: من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً شرك في دم آل محمَّد ﷺ، ثم جعل أصحاب المختار يفتشون الدور ويخرجون القوم مكتَّفين إلى المختار، فكان المختار كلما قدم إليه رجل يسأل

عنه فإن كان ممن قاتل الحسين عليه السلام أمر به فضربت عنقه.

٤ ـ قرار إستئصال قتلة الحسين عليه السلام:

وبالفعل فعند إنتهاء هذه الثورة علم المختار أن العداء بينه وبين قتلة الحسين عليه السلام من أشراف وعيون الكوفة قد استعر وأنه آن الأوان لتجريد السيف فيهم فقال لأصحابه: ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين عليه السلام يمشون أحياء في الدنيا آمنين، بئس ناصر آل محمَّد عليهم السلام أنا إذاً في الدنيا، أنا إذاً الكذاب كما سموني، فإني بالله استعين عليهم، فسمّوهم لي ثم اتبعوهم حتى تفنوهم، ثم قال: أطلبوا لي قتلة الحسين عليه السلام فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم.

٥ ـ تتبع قتلة الحسين عليه السلام:

وبالفعل فإن المختار جهد في قتل قتلة الحسين عليه السلام ومن شهد قتله وعدّ من أعدائه عليه السلام فلم يمض الزمان حتى كان قد قتل منهم ثمانية عشر

ألف قتيل ممن شهد مقتل الحسين عليه السلام، ولم يسلم إلا الذين فروا من الكوفة وهربوا إلى آفاق البلاد وكثير منهم هرب إلى البصرة، ومع ذلك لم يسلموا من إنتقام المختار إذ عمد إلى دورهم فهدمها.

وما زال المختار يتتبع قتلة الحسين عليه السلام حتى استأنس لذلك آل محمَّد صلى الله عليه وآله وشيعتهم فقد ورد في الخبر أن شيخاً من أهل الكوفة دخل على الإمام الباقر عليه السلام يوم النحر فتناول يده ليقبّلها فمنعه الإمام عليه السلام، ثم قال له: من أنت، قال الشيخ أنا أبو محمَّد الحكم بن المختار ابن أبي عبيدة الثقفي، فمدّ الإمام عليه السلام يده إليه يقربه ـ وكان متباعداً ـ حتى كاد يقعده في حجره، ثم قال الشيخ: أصلحك الله إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا ـ والقول والله قولك ـ قال عليه السلام: وأي شيء يقولون، قال الشيخ: يقولون كذّاب، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته، فقال عليه السلام: سبحان الله، أخبرني أبي ـ والله ـ أن مهر أمي كان مما

بعث به المختار، أو لم يبن دورنا ! وقتل قاتلينا، وطلب بدمائنا، فرحمة الله، وأخبرني ـ والله ـ أبي أنه كان ليسمر عند فاطمة بنت علي عليها السلام يمهّد لها الفراش ويثني لها الوسائد، ومنها أصاب الحديث، رحم الله أباك، رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قتلتنا وطلب بدمائنا.

وكان الذي يعين المختار ويحرضه على الثأر هو أبو عمرة صاحب شرطته، وكان لقبه (كيسان)، وكان أبو عمرة مولى لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فكان صاحب سر المختار والغالب على أمره، وكان يدله على قتلة الحسين عليه السلام، ولا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين عليه السلام أنه في دار أو في موضع إلا قصده وهدم داره بأسرها وقتل كل من فيها من ذي روح حتى قيل أن أهل الكوفة أصبحوا يضربون به المثل فيقولون لمن يضربه الفقر (دخل أبو عمرة بيته)

وحتى غلب لقبه (كيسان) على دعوة المختار وعلى المذهب المنسوب إليه وهو مذهب الكيسانية.

٦ ـ تفاصيل الثأر:

ونحن سنذكر هنا بعض التفصيلات التي وصلتنا من حوادث الثأر التي رواها المؤرخون:

١ ـ أتوه بخمسمائة أسير من الوادعيين فقال المختار: إنظروا كل من شهد منهم قتل الحسين عليه السلام فأعلموني به، فقتل نحواً من مائتين وخمسين رجلاً منهم قيل أنه ممن شهد قتل الحسين عليه السلام فكان كل واحد منهم يقدم فتضرب عنقه.

٢ ـ قتل في الثورة عبد الرحمن بن سعيد بن قيس في سبعمائة وثمانين من قومه من همدان.

٣ ـ قتل عبد الله بن أسيد النزال الجهني ومالك بن النسير ـ وهو الذي ضرب الحسين عليه السلام وأخذ البرنس ـ وحمل ابن مالك المحاربي، بعث إليهم

مالك بن عمرو النهدي فأتاهم وهم بالقادسيه فأخذهم وجاء بهم إلى المختار، فقال لهم: يا أعداء الله، يا أعداء كتابه، وأعداء رسوله، وآل رسوله، أين الحسين بن علي عليه السلام، أدّوا إليَّ الحسين عليه السلام، قتلتم من أُمِرتم بالصلاة عليه في الصلاة، فقالوا، رحمك الله، بُعثنا ونحن كارهون، فأمنن علينا واستبْقِنا، فقال المختار: فهلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله واستبقيتموه وسقيتموه، ثم أمر بقطع يدي ورجلي صاحب مالك بن النسير صاحب برنس الحسين عليه السلام فلم يزل ينزف حتى مات، وقدم الآخرين فقتلهما.

٤ ـ بعث عبد الله بن كامل إلى بني ضبيعة فأخذ زياد بن مالك، وبعثه إلى بني عنزة فأخذ منهم عمران بن خالد ثم أخذ عبد الرحمن ابن أبي خشكارة البجلي ـ وهو قاتل مسلم بن عوسجة ـ وعبد الله بن قيس الخولاني فأدخلوهم على المختار فقال لهم: يا قتلة الصالحين، وقتلة سيد شباب أهل

الجنة، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم، لقد جاءكم الورس بيوم نحس ـ والورس هو الذي نهبوه من متاع الحسين عليه السلام ـ ثم أمر بهم فأخرجوا إلى السوق وضربت أعناقهم.

٥ ـ بعث المختار السائب بن مالك الأشعري فأخذ عبد الله وعبد الرحمن ابنا صخلب ثم أخذ عبد الله بن وهب بن عمرو إلى المختار فأمر بهم فقتلوا في السوق.

٦ ـ بعث عبد الله بن كامل ليحضر عثمان بن خالد الدهماني الجهني وبشر بن سوط القابضي وكانا قد أشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل ابن أبي طالب وفي سلبه، فوصل عبد الله بن كامل بمسجد بني دهمان وقد اختفيا، فقال عبد الله بن كامل: عليَّ مثل خطايا بني دهمان منذ يوم خلقوا إلى يوم يبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم، فاستمهلوه فأمهلهم، فخرجوا يطلبوهما فوجدوهما يستعدان للخروج إلى أرض الجزيرة، فأخذهما وضرب

أعناقهما، ثم أتى إلى المختار فأخبره فأمره ان يرجع ويحرقهما بالنار وقال: لا يدفنان حتى يحرقا.

٧ ـ بعث المختار عبد الله بن كامل ليحضر كليم بن طفيل الطائي السبنسي ـ وكان قد رمى الحسين عليه السلام بسهم وسلب العباس بن علي عليه السلام ـ فأتاه عبد الله وأخذه، فاستغاث أهله بعدي ابن حاتم الطائي وهو سيد أشراف بني طيء ومن أعيان أصحاب علي عليه السلام، فلحقهم في الطريق فكلم فيه عبد الله بن كامل، فقال عبد الله ما إليّ من أمره شيء إنما ذلك إلى الأمير المختار، فذهب عدي بن حاتم إلى المختار، فقالت الشيعة لعبد الله ابن كامل: إنا نخاف أن يشفّع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث، وله من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله، قال: شأنكم به، فلما انتهوا به إلى دار العنزيين وهو مكتوف، نصبوه ثم قالوا له: سلبت ابن علي عليه السلام ثيابه، والله لنسلبنّ ثيابك وأنت حي تنظر، فنزعوا ثيابه، ثم قالوا: رميت حسيناً عليه السلام

واتخذته غرضاً لنبلك ... فرموه رشقاً واحداً فوقعت به منهم نبال كثيرة حتى أصبح كالقنفذ من كثرة النبل فخرّ ميتاً.

٨ ـ رأى الشيعة المنذر بن حسان بن ضرار الضبي على باب قصر الإمارة قد بايع المختار أيام إنتصاره الأول وكان ابنه حيان، فلما رأوه قالوا: هذا والله من رؤوس الجبارين، فشدوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما.

٩ ـ كان قاتل حبيب بن مظاهر (رض) إسمه بديل بن صريم التميمي وقد إحتز رأس حبيب (رض) فعلقه في لبان فرسه، ثم أقبل إلى القصر فرآه ابنه القاسم بن حبيب وكان في الكوفة وهو يومئذ مراهق فأقبل مع الفارس لا يفارقه إذا دخل القصر دخل معه، وإذا خرج خرج معه، فارتاب به الرجل فقال: ما لك يا بني؟، قال: لا شيء، قال: بلى يا بني أخبرني، قال له: إن هذا الرأس الذي معك رأس أبي أفتعطينيه حتى أدفنه، قال: يا

بني، لا يرضى الأمير أن يدفن، وأنا أريد أن يثيبني الأمير على قتله ثواباً حسناً، فقال له: ولكن الله لا يثيبك إلا أسوأ الثواب، أما والله لقد قتلت خيراً منك، ثم بكى، ثم مضى القاسم حتى أدرك فلم يكن له هم إلا اتباع أثر قاتل أبيه ولم يدركه إلا زمن مصعب بن الزبير عندما غزا بحميرا، دخل عسكر مصعب فإذا قاتل حبيب في فسطاط فعرفه فأقبل يلتمس غرّته فدخل عليه وهو نائم نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد، لعنه الله.

١٠ ـ أخذ المختار بجدل بن سليم الكلبي ـ وهو الذي قطع أصبع الحسين عليه السلام ليسلب الخاتم ـ فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وتركه يتشحّط بدمه حتى هلك لعنه الله.

١١ ـ وبعث المختار عبد الله بن كامل ليحضر زيد بن الرقاد الجنبي ـ وهو قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ـ فأحاط به الرجال، فخرج ليقاتلهم فقال لهم ابن كامل: لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن

إرموه بالنبل وأرجموه بالحجارة، ففعلوا به ذلك فوقع، فقال ابن كامل: إن كان به رمق فأخرجوه، فكان به رمق فأخرجوه وأحرقوه وهو حي لم تخرج روحه حتى مات حريقاً بالنار لعنه الله.

١٢ ـ وطلب المختار إحضار عمرو بن صبيح وكان يقول: لقد طعنت بعضهم ـ الحسين وأهل بيته عليهم السلام ـ وجرحت فيهم وما قتلت منهم أحداً ـ وكان ممن رماهم عبد الله بن مسلم بن عقيل ـ فأتوه ليلاً وهو على سطح بيته لا يشعر بعدما هدأت العيون وسيفه تحت رأسه فأخذوه أخذاً وأخذوا سيفه، فأدخلوه على المختار وهو يشتم الشيعة ويتمنى أن بيده السيف حتى يقاتلهم ويقتلهم، فأمر المختار بطعنه بالرماح فطعنوه حتى مات لعنه الله.

١٣ ـ وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنوي ـ يقال أنه قتل أحد ولد الحسين عليه السلام ـ لكنه كان قد هرب إلى الجزيرة فهدم داره.

١٤ـ وطلب عبد الله بن عروة الخثعمي ـ قتل

جعفر بن عقيل ـ وكان يقول: رميت فيهم بإثني عشر سهماً ضيعة، فقدموا ليأخذوه إلا أنه فرّ هارباً إلى مصعب بن الزبير فهدموا داره.

١٥ ـ كان المختار قد عزم على قتل أسماء بن خارجة الفزاري، فوصله الخبر فولى هارباً إلى البادية، فأمر بداره فهدمت وكذا دور بني عمه، ويقال أن أسماء بن خارجة ممن سعى في قتل مسلم بن عقيل.

١٦ ـ بلغ المختار أن شمر بن ذي الجوشن سلب من أملاك الحسين عليه السلام إبلاً فأخذها وقدم بها إلى الكوفة فنحرها وقسّم لحومها، فقال المختار: أحصوا لي كل دار دخل فيها شيء من ذلك اللحم فأحصوها، فأرسل إلى كل من أخذ منها شيئاً فقتلهم وهدم دورهم.

١٧ ـ ولم يكتف المختار بقتل قتلة الحسين عليه السلام بل أمر صاحب شرطته أبا عمرة أن يستأجر ألف رجل من الفعلة بالمعاول ويتبع دور من خرج إلى

قتال الحسين عليه السلام فيهدمها، وهذا ما فعله أبوعمرة الذي كان عارفاً بقتلة الحسين عليه السلام ومتحمساً إلى قتلهم والتنكيل بهم فجعل يدور بالكوفة على دورهم فيهدمها على من فيها فإن خرج منها أحد قتله، ما زال هذا دأبه حتى ضُرب به المثل فيقال لمن فاجأه الفقر والمصائب (دخل أبو عمرة داره).

* * *

الفصل الخامس

قتل أكابر المجرمين

١ ـ قتل خولي بن يزيد صاحب رأس الحسين عليه السلام:

بعث معاذ بن هانئ بن عدي لإحضار خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين عليه السلام، فأحاطوا بداره فإختبأ فخرجت إمرأته، فقالوا لها: أين زوجك، فقالت: لا أدري أين هو - وأشارت بيدها إلى مكان إختبائه ـ فاستخرجوه وأتوا به إلى المختار الذي أخذه إلى جانب أهله ثم أمر بإحراقه ولم يتحرك المختار من مكانه حتى أصبح رماداً لعنه الله.

٢ ـ قتل عمرو بن الحجاج الزبيدي:

عند هزيمة الثورة التي قام بها أشراف الكوفة وقتلة الحسين عليه السلام على المختار، خرج عمرو بن الحجاج الزبيدي وكان من الذين شهدوا مقتل الحسين عليه السلام، على رأس خمسة آلاف مقاتل، فركب راحلته هارباً من طريق واقصة فلم يُرَ حتى الساعة ولا يُدرَى أرض بخسته أم سماء حَصَبته، وهذا ممن ثأر الله منه، وقيل: بل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه.

٣ـ قتل حرملة بن كاهل قاتل الرضيع عليه السلام:

قتل المختار حرملة بن كاهل الأسدي وهو قاتل عبدالله الرضيع ابن الحسين عليه السلام، تفصيل ذلك أن المنهال بن عمرو كان في الحج فدخل على علي بن الحسين عليه السلام فقال عليه السلام: يا منهال ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي، فقال المنهال: تركته حياً بالكوفة، فرفع علي بن الحسين عليه السلام كلتا يديه ثم قال: اللَّهمّ أذقه حر الحديد، اللَّهمّ أذقه حرّ

الحديد، اللَّهمّ أذقه حر النار، فلما قدم المنهال إلى الكوفة لقي المختار وحدّثه، فوجّه في طلب حرملة فلم يلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدّون حتى قالوا: أيها الأمير البشارة قد أخذ حرملة بن كاهل، فما لبثنا أن جيء به فلما نظر إليه المختار قال لحرملة: الحمد لله الذي مكنني منك، ثم قال: الجزّار الجزّار، فأُتي بجزار فقال له: إقطع يديه، فقطعها ثم قال له: إقطع رجليه، فقطعها ثم قال: النار النار، فأتي بنار وقصب فألقي عليه فاشتعل فيه النار، فسبّح المنهال تعجباً من تحقق كلام زين العابدين عليه السلام، وأخبر المختار بموافقة دعاء زين العابدين لما حدث لحرملة فنزل المختار عن دابته وصلى ركعتين شكراً وأطال السجود.

أقول: توضيح ذلك أن زين العابدين عليه السلام دعا الله أن يذيقه حر الحديد مرتين ودعا أن يذيقه حر النار مرة واحدة، وهذا ما تحقق بعينه إذ قد ذاق حر الحديد عندما قطع يديه، ثم ذاق حر الحديد

عندما قطع رجليه، ثم ذاق حر النار عندما أحرق، ويقال أن المختارعندما علم أن فعله موافقاً لدعوة زين العابدين عليه السلام وأن الله تعالى استجاب لزين العابدين عليه السلام على يديه بقي يومه صائماً لله تعالى شكراً على هذه النعمة.

٤ ـ قتل مرة بن منقذ قاتل علي بن الحسين عليه السلام:

وبعث المختار عبد الله بن كامل ليحضر مرّة بن منقذ العبدي ـ وهو قاتل علي بن الحسين عليه السلام ـ فقاتلهم وأفلت منهم إلا من ضربة ضربها عبد الله بن كامل فاتقاها مرّة بيده اليسرى فشلت يده ثم فرّ إلى مصعب بن الزبير.

٥ ـ قتل سنان بن أنس قاتل الحسين عليه السلام:

وطلب المختار إحضار سنان بن أنس ـ إدّعى قتل الحسين عليه السلام ـ لكنه كان قد هرب إلى البصرة فأمر بداره فهدمت، ثم أنه خرج من البصرة نحو القادسية وكان عليه عيون فأخبروا المختار فأرسل إليه من أخذه من بين العذيب والقادسية فقطع أنامله

ثم قطع يديه ورجليه وأغلى له زيتاً في قدر ورماه فيه. وفي رواية أبي مخنف أن الذي قبض على سنان بن أنس النخعي هو إبراهيم الأشتر فقال لسنان: يا ويلك أصدقني، ما فعلت يوم الطف؟!، قال سنان: ما فعلت شيئاً غير أني أخذت تكة الحسين عليه السلام من سرواله، فبكى إبراهيم الأشتر عند ذلك، فجعل يُشرّح لحم فخذ سنان ويشويها على نصف نضاجها ويطعمه أياه، وكلما إمتنع من الأكل ينخزه بالخنجر، فلما أشرف على الموت ذبحه وأحرق جثته عجل الله عليه النار.

٧ ـ قتل محمَّد بن الأشعث آسر مسلم بن عقيل:

وطلبوا محمَّد بن الأشعث كبير كندة والذي أسر مسلم بن عقيل فذهبوا إليه وهو في قرية بالقادسية، فخرج هارباً إلى البصرة ولحق بمصعب ابن الزبير فأمر المختار بداره فهدمت، وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي التي كان هدمها زياد بن سمية لعنه الله.

فبقي محمَّد بن الأشعث عند مصعب في البصرة إلى أن جاء مصعب ابن الزبير ليدخل الكوفة فجاء معه محمَّد بن الأشعث على رأس قتلة الحسين عليه السلام الذين فرّوا من الكوفة، ولما وقع القتال بينهم وبين جيش المختار فأبصر به مالك بن عمرو أبو نمران النهدي فاستقتل هو وأصحابه نحو من خمسين رجلاً فكرّوا على محمَّد بن الأشعث وأصحابه فقتلوه وقتلوا جماعة وقُتِلوا رحمهم الله، وقيل أن قاتله هو عبد الله بن قراد، وقيل بل عبد الملك بن أشاءة الكندي، والله العالم.

ومحمَّد بن الأشعث هذا هو الذي قال للحسين عليه السلام يوم كربلاء: يا حسين ابن فاطمة أية حرمة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله ليست لغيرك، فقال الحسين عليه السلام: هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثم قال عليه السلام: والله إن محمَّداً لمن آل إبراهيم وإن العترة الهادية لمن آل محمَّد، مَن الرجل، فقيل: محمَّد بن أشعث

بن قيس الكندي، فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء، فقال: اللَّهمّ أرِ محمَّد بن الأشعث ذلاً في اليوم لا تعزّه بعد هذا اليوم أبداً، فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرز فسلط الله عليه عقرباً فلذعه فمات بادي العورة.

٧ ـ قتل قيس بن الأشعث:

وكان قيس بن الأشعث من قتلة الحسين عليه السلام وهو الذي سلبه القطيفة حتى كان يقال له (قيس القطيفة)، فلما رأى ثورة المختار أنف أن يأتي البصرة فيشمت به أهلها فأتى إلى عبد الله بن كامل فاستجار به ـ وكان عبد الله بن كامل من أخص أصحاب المختار ـ فأجاره وأقبل إلى المختار وأخبره فسكت المختار وشغله بالحديث ثم قال له: أرني خاتمك، فناوله إياه، فجعله في إصبعه، ثم دعا أبا عمرة فدفع إليه الخاتم وقال له سراً أن ينطلق إلى إمرأة عبد الله بن كامل فيقول لها: هذا خاتم بعلك علامة لتدخليني إلى قيس بن الأشعث،

فذهب أبو عمرة فأدخلته عليه فانتضى سيفه فضرب عنقه وأخذ رأسه فأتى به المختار فألقى بالرأس بين يديه وقال للمختار: هذا بقطيفة الحسين عليه السلام، فاسترجع ابن كامل وقال للمختار: قتلت جاري!!، فقال له المختار: لله أبوك أسكت، اتستحل أن تجير قتلة ابن بنت نبيك صلى الله عليه وآله.

٨ ـ قتل شبث بن ربعي:

وقبض إبراهيم بن مالك الأشتر على شبث بن ربعي وهو من أكابر المجرمين الذين ولغوا بدماء الحسين عليه السلام وأهل بيته، فقال له إبراهيم: أصدقني ما فعلت يوم الطف، فقال شبث بن ربعي لعنه الله: ضربت وجهه بالسيف، فقال إبراهيم: يا ويلك، يا ملعون، ما خفت من الله تعالى ولا من جده رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم جعل يشرّح أفخاذه حتى مات، ثم قطع رأسه وأحرق جثته.

٩ ـ قتل ابجر بن كعب:

وقبض إبراهيم الأشتر على أبجر بن كعب

الطاغي الملعون، فقال له إبراهيم: يا ويلك، ما فعلت يوم الطف؟! فقال الملعون: أخذت قناع زينب عليها السلام من رأسها وقرطيها من أذنيها فجذبتها حتى خرمت أذنيها، فقال إبراهيم وهو يبكي: يا ويلك، ما قالت لك؟، قال أبجر: قالت لي: قطع الله يديك ورجليك وأحرقك الله تعالى بنار الدنيا قبل نار الآخرة، فقال إبراهيم: يا ويلك، ما خجلت من الله تعالى، ولا راقبت جدها رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا أدركتك الرأفة عليها، ثم قطع رجليه وقلع عينيه وعذّبه بأنواع العذاب، وإنما لم يقطع يديه لأنهما كانتا قد قطعتا سابقاً.

١٠ ـ قتل الذين رضّوا صدر الحسين عليه السلام:

أخذ المختار الأشخاص العشرة الذين وطئوا صدر الحسين عليه السلام بخيولهم فأمر بهم فشدّت أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد ثم أمر الخيل فوطأت صدورهم حتى هلكوا لعنهم الله.

١١ ـ قتل الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين عليه السلام:

وفرّ الشمر بن ذي الجوشن الملعون المعروف عند هزيمة الثورة التي قام بها هو وأصحابه على المختار حتى وصل إلى قرية إسمها الكلتانية، فأقام هناك سراً يكاتب مصعب بن الزبير في البصرة، وكان المختار قد بعث مسالح إلى تلك المنطقة، فعلموا بمكان إختباء الشمر بن ذي الجوشن وأصحابه فشنّوا الغارة عليهم ليلاً وهم نائمون فلم يفجأهم إلا والفرسان فوقهم، فأعجلوا الشمر قبل أن يلبس ثيابه وسلاحه فقتلوه ورموا جثته للكلاب، وقيل بل أخذوه أسيراً فجاؤوا به إلى المختار فأغلى له دهناً في قدر فقذفه فيها فتفسخ، وأما رأسه ورؤوس من معه فنصبوها في الكوفة في رحبة الخدائين.

١٢ ـ قتل عمر بن سعد:

روي أن الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد في كربلاء: أي عمر، أتزعم إنك تقتلني ويوليك الدعي

بلاد الري وجرجان، والله لا تتهنأ بذلك عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع فإنك لن تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، فكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم.

وفي خبر آخر أن الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: قطع الله رحمك وسلّط عليك من يذبحك على فراشك.

وفي خبر ثالث أنه عليه السلام قال له: أنه لن يأكل من برّ العراق بعده إلا قليلاً، فقال عمر بن سعد مستهزئاً: في الشعير كفاية يا أبا عبد الله.

استهزأ عمر بن سعد بهذا القول كما أستهزأ بالقولين السابقين، ولكن حدث ما قاله الحسين عليه السلام فلم يستطع عمر بن سعد الوصول إلى الري، ثم لم يلبث أن قتله المختار بأن أرسل من يذبحه وهو على فراشه ونصب رأسه في الكوفة وغيرها، وكان من قصته أن المختار كان قد أعطى أماناً لعمر بن

سعد كتب فيه: أنه لا يؤخذ بحدث كان منه قديماً... إلا أن يحدث حدثاً.

فكان عمر بن سعد يعيش في الكوفة مطمئناً مستنداً إلى هذا الأمان، فذهب جماعة من الشيعة إلى الحجاز ودخلوا على محمَّد ابن الحنفية ثم جرى الحديث فذكروا المختار وأنه يدعو إلى الطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام، فقال محمَّد ابن الحنفية: يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عليه السلام جلساؤه على الكراسي يحدّثونه، والظاهر أنه كان يكنّي بذلك عن عمر بن سعد وأضرابه.

وصل الكلام إلى المختار فعزم على إرضاء محمَّد ابن الحنفية وقتل البقية الباقية من قتلة الحسين، فعزم على قتل عمر بن سعد، فقال لأصحابه: لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقربين، بعض الجالسين فهم أنه يشير إلى عمر بن سعد فأرسل إليه يحذره، إلا أن عمر

بن سعد آثر أن يبقى في بيته مستنداً إلى الأمان وأن لا يخرج من بيته لأن في خروجه من البيت نقض لشرط الأمان.

عند الصباح أرسل المختار نوائح يبكين الحسين عليه السلام على باب دار عمر بن سعد، فلما جئن يبكين قال عمر بن سعد لابنه حفص: يا بني إئت الأمير فقل له: ما شأن النوائح يبكين الحسين عليه السلام على بابي، فأتاه فقال له ذلك، فقال المختار إن الحسين عليه السلام أهل أن يبكى عليه، فقال حفص: أصلحك الله أنههن عن ذلك، قال المختار: نعم، فأرسل أبا عمرة، وأمره أن يأتيه برأس عمر بن سعد، فذهب أبو عمرة ودخل على عمر بن سعد وقال له: أجب الأمير، دخله الرعب فلم يدر كيف يقوم حتى عثر في جبّته فضربه أبو عمرة بالسيف وأحتز رأسه وجاء به إلى المختار، وقد كان ما زال عنده حفص بن عمر بن سعد، فدخل عليه أبو عمرة فوضع الرأس بين

يديه، فنظر المختار إلى حفص وهو ابن أخت المختار فقال له: أتعرف هذا الرأس، فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده، فقال له المختار صدقت، فإنك لا تعيش بعده فأمر به فقتل وأحتزوا رأسه فجعلوه إلى جنب رأس أبيه، فقال المختار: هذا بالحسين عليه السلام، وهذا بعلي بن الحسين عليه السلام، ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله.

ويروى أنهم سألوا الإمام الباقر عليه السلام، عن أن المختار كيف خالف الأمان فقال: إن الأمان كان مشروطاً بأن لا يحدث حدثاً وإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث.

وقد روى بعضهم قتل عمر بن سعد بكيفية أخرى، وهي أن عمر بن سعد أختفى في الكوفة فأرسل المختار من ظفر به وأحضره بين يدي المختار، فقال له: يا عمر بن سعد أنت قتلت رضيع الحسين عليه السلام قبّحك الله من بين الأخوة،

لا ذمّة النبي ﷺ حفظت، ولا حق الأخوة رعيت، والله العظيم لئن لم تنشدني أبياتك النونية لأعذبنك أشد العذاب، فأنشدها عمر بن سعد وهي القصيدة التي قالها حينما عزم على قتال الحسين عليه السلام وهي:

فوالله ما أدري وإني لصادق
أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري
منيتي أم أصبح مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمي والحوادث جمة
ولكن لي في الري قرة عيني
يقولون إن الله خالق جنة ونار
وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا بما يقولون إنني أتوب
إلى الرحمن من سنتين
وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة
وملك عقيم دائم الحجلين

وإن إلـه الـعـرش يـغـفـر زلـتـي
ولـو كـنـت فـيـهـا أظـلـم الـثـقـلين
ولـكـنـمـا الـدنـيـا بـخـيـر مـعـجـل
ومـا عـاقـل بـاع الـوجـود بـديـن

فلما سمع المختار هذه القصيدة قال له: يا ويلك، هكذا يكون إعتقاد المسلمين، ثم أمر به فقتل.

١٣ ـ رأس عمر بن سعد عند ابن الحنفية:

ثم إن المختار أرسل بالرأسين ـ رأس عمر بن سعد ورأس ابنه حفص ـ إلى محمَّد ابن الحنفية وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم:

... أما بعد فإن الله بعثني نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين عليه السلام وأهل بيته ـ رحمة الله عليهم ـ كل من قدرنا عليه ولن يعجز الله من بقي، ولست بمنجم

عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم آدمياً.

ويقال بينا محمَّد ابن الحنفية جالساً في نفر من الشيعة وهو يعتب على المختار لمجالسة عمر بن سعد، فما تم كلامه إلا والرأسان عنده فخرّ ساجداً وبسط كفيه وقال: اللَّهمّ لا تنس هذا اليوم للمختار وأجزه عن أهل بيت نبيك محمَّد ﷺ خير الجزاء، فوالله ما على المختار بعد هذا من عتب.

١٤ ـ رأس عمر بن سعد عند زين العابدين عليه السلام:

ثم إن محمَّد ابن الحنفية بعث برأس عمر بن سعد إلى زين العابدين عليه السلام فخرّ ساجداً وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيراً.

* * *

الفصل السادس

قتل عبيد الله بن زياد وجيش أهل الشام

١ ـ الوقعات:

فور إنتصار المختار وسيطرته على الكوفة لم تكن همته إلا مقارعة جيش أهل الشام، وبالفعل فقد تحقق عدة وقعات:

١ ـ وجه المختار يزيد بن أنس على رأس ثلاثة آلاف فارس ليقاتل عبيد الله بن زياد الذي كان يرابض في أرض الجزيرة على حدود الموصل، وصل يزيد بن أنس إلى منطقة يقال

لها بنات تلى، فالتقى جيشاً من جيوش عبيد الله بن زياد من ثلاثة آلاف فارس على رأسه ربيعة بن مخارق فواقعهم فهزمهم وقُتِل ربيعة بن مخارق وحازوا العسكر وغنموه وقتلوا أهل الشام قتلاً ذريعاً.

٢ ـ إلتقى يزيد بن أنس المتقدم ذكره بجيش آخر على رأسه عبد الله ابن حملة فيه ثلاثة آلاف فارس مضافاً إليه جميع فلول المنهزمين من جيش ربيعة بن مخارق المتقدم ذكره، وكان النصر في هذه الواقعة أيضاً حليفاً ليزيد بن أنس وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة وقتلوا قتلاً ذريعاً وقُتِل عبد الله ابن حملة، وأسر ثلاثمائة أسير من أهل الشام فضربوا أعناقهم من عند آخرهم.

٢ ـ جيش ابن الأشتر:

بعد أن قضى المختار وإبراهيم بن مالك الأشتر على ثورة قتلة الحسين عليه السلام لم يمض يومان حتى تجهّز إبراهيم للخروج إلى قتال جيش

عبيد الله بن زياد، فخرج الأشتر مع عشرين ألف مقاتل وفيهم عشرة آلاف فارس، ومشى معه المختار وودعه وأمره بتعجيل القتال وأمره بالإحسان إلى عبيد الله بن الحر الجعفي الذي خرج مع إبراهيم الأشتر خشية غدره، وأنشأ المختار يقول:

أما ورب المرسلات عرفا
لنقتلنّ من بعد صفّ صفّا
وبعد ألف القاسطين ألفا
إنا وحق المرسلات عرفا
حقاً وحقّ العاصفات عصفا
لنعسفن من بغانا عسفا
حتى نسوم القوم منا خسفا
زحفاً إليهم لا نمل الزحفا
حتى نلاقي بعد صف صفّا

٣ ـ إلتقاء الجيشين:

مضى الأشتر حتى خرج من العراق ودخل

في أرض الموصل حتى إلتقى بجيش ابن زياد في أرض خازر، فنزل الأشتر في قرية باربيثا ونزل عبيد الله بن زياد بجيشه قريباً من القرية على شاطئ خازر وكان جيشه ثلاثة وثمانين ألف مقاتل، فيهم ستون ألف فارس، وفي رواية ابي مخنف أن عدّة جيش ابن زياد كانت تربوا على أربعمائة ألف مقاتل.

وكانت هذه البلاد (بلاد الجزيرة) موطن سكن القبائل القيسية التي كانت دماؤها ما زالت تقطر من معركة مرج راهط التي أبيدت فيها قيس وقُتِلت قتلاً ذريعاً، ولذلك كان معظم جيش ابن زياد من قبائل كلب المعادية للقبائل القيسية عداءً مستحرّاً، ولهذا فإنه عندما اصطف جيش ابن زياد في مقابل جيش الأشتر كان منية القيسيين أن يهزم جيش ابن زياد، ولذلك فإن عمير بن الحباب السلمي ـ القيسي ـ وهو على ميسرة جيش ابن زياد، أرسل إلى إبراهيم الأشتر أنه

يريد أن يلقاه الليلة، فلقيه ليلاً فبايعه، وأخبره أنه على ميسرة ابن زياد، وواعده أن ينهزم بالناس عند إحتدام المعركة، فأراد الأشتر أن يتأكد من صدق نيتّه فسأله عن تعجيل الحرب أو تأجيلها بقوله: ما رأيك؟ أخنِدق عليَّ وأتلوَّم يومين أو ثلاثة؟، فقال عمير أبن الحباب: إنا لله! لا تفعل، هل يريد القوم إلا هذه، إن طاولوك وماطلوك فهو خير لهم، هم كثير أضعافكم، وليس يطيق القليل الكثير في الطاولة، ولكن ناجز القوم فإنهم قد مُلئوا منكم رعباً... فقال إبراهيم الأشتر: الآن علمت أنك مناصح لي، صدقتْ، الرأيُ ما رأيتْ، أما إن صاحبي ـ المختار ـ أوصاني بهذا، وبهذا الرأي أمرني، فقال عمير بن الحباب، فلا تعدون رأيه، فإن الشيخ ـ المختار ـ قد ضرّسته الحروب، وقاسى منها ما لم تقاسِ، أصبح فناهِض الرجل.

٤ ـ الإستعداد للحرب:

وهكذا عزم الأشتر على الشروع في الحرب صباحاً فهيأ لها طوال الليل ولم يدخل عينه غمض حتى إذا كان في السحر الأول عبأ أصحابه وكتّب الكتائب، وأمَّر الأمراء، فلما إنفجر الفجر صلى بهم الغداة بغلس، ثم زحف بالجيش على رسله رويداً رويداً حتى وقف على تل عظيم مشرف على جيش ابن زياد وهم غارّون لم يتحركوا بعد، فأصابهم الدهش والفشل عندما رأوا الأشتر قد أشرف عليهم، فركب الأشتر فرسه ودار على الرايات كلما مرَّ على راية وقف عليها وقال لهم: يا أنصارالدين وشيعة الحق وشرطة الله، هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين ابن علي عليه السلام ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون إليه، هذا الذي بعث إلى الحسين بن علي عليه السلام

أن لا أمان لك عندي أو تنزل على حكمي ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته وساق حرم رسول الله ﷺ كسبايا الروم والترك والديلم من بلد إلى بلد حتى أدخلوا على يزيد، فوالله ما عمل فرعون ببني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قد جاءكم الله به وجاءه بكم، فوالله إني لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم فقد علم الله إنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم ﷺ.

٥ ـ المعركة وإبادة جيش الشام:

ثم وقعت المعركة وكان إبراهيم الأشتر ابن أبيه، وموقفه حميد ورأيه رشيد، وقوله سديد، وبأسه شديد، فكان إذا إنهزمت ميسرته كرَّ عليها وكشف عن رأسه وناداها: يا شرطة الله إليّ أنا

ابن الأشتر، إنّ خير فرّاركم كرّاركم، فترجع الرايات فتثبت، وكان إذا حمل بالقلب على قلب جيش ابن زياد يقول لصاحب رايته: إنغمس فيهم، فيشد بأصحابه شدة رجل واحد، ولا يضرب رجلاً إلا صرعه، وكانت الرجال تنفر من بين يديه فرار الغنم بين يدي الذئب، فلم ينقض النهار حتى وقعت الهزيمة في جيش ابن زياد ولاذوا بالفرار، فتبعهم أصحاب المختار يضربون في ظهورهم فدخل الفرّار في النهر فغرقوا، ولم يفلت من الجيش الكثير أحد حتى حاز الأشتر كل جيش ابن زياد.

٦ ـ قتل عبيد الله بن زياد:

ولم تهدأ فورة الأشتر وأصحابه حتى رأوا عبيد الله بن زياد الملعون ابن الملعون مقتولاً في القتلى، فأخذوا رأسه وأحرقوا جثته وكان جسده مشحماً فجعلوا شحمه وقوداً يضيئون به طوال الليل، وقيل: بل صلبوه منكساً.

وفي رواية أبي مخنف أن الأشتر كمن لعبيد الله بن زياد وتمكن من أخذه أسيراً مكتوفاً ثم شرّح لحمه بيده ثم شوى لحمه ثم أطعمه منها ثم ذبحه وأحرقه بالنار.

وقيل أن الذي قتل عبيد الله بن زياد هو شريك بن جدير كان من أصحاب علي عليه السلام وشهد معه صفين ثم سكن بيت المقدس، فلما بلغه قتل الحسين عليه السلام عاهد الله إن ظهرمن يطلب بدمه أن يقتل ابن زياد أو يموت في ذلك، فلما ظهر المختار سار مع الأشتر ولم يكن له همَّة إلا قتل عبيد الله بن زياد، وقيل أن قاتله هو إبراهيم الأشتر.

٧ ـ إبادة أهل الشام:

ولم يقتل من أهل العراق إلا ثلاثمائة وسبعون، وكان قتلى أهل الشام في هذه الوقعة ما لا يحصى عدداً، وعن الشعبي أنه قال: لم يقتل قط من أهل الشام بعد صفين مثل هذه الوقعة، وعن عمر بن شبّة

مسنداً أنهم عددوا القتلى بالقصب لكثرتهم فكانوا سبعين ألفاً.

أقول: وهذا ما عدا القتلى الذين غرقوا في النهر وجرفهم التيار، ولقد كان في القتلى رؤوس أهل الشام وعظماؤهم كالحصين بن نمير السكوني ـ وهو الذي استهزأ بالحسين عليه السلام في كربلاء وردّ عليه مقالته ـ وشراحيل بن ذي الكلاع الحميري، وابن حوشب، وغالب الباهلي، وأبي أشرس بن عبد الله، وشرحبيل وهو الذي ضرب الحسين عليه السلام على عارضه يوم كربلاء من خلفه، وغيرهم كثير لا يحصى.

٨ ـ إرسال الرؤوس:

وثم إن إبراهيم الأشتر حزّ الرؤوس وجعلوها على الرماح والخشب ومشوا بها فكان منظراً مهيباً نحو سبعين ألف رأس من رؤوس أعداء الله وأعداء رسوله وأهل بيته عليهم السلام مشى بها الجيش إلى الكوفة، وأرسل رؤوس عبيد الله بن

زياد وكبار الرؤساء من أهل الشام إلى المختار وجعل في آذانهم الرقاع بأسمائهم، فوصلت الرؤوس إلى المختار وهو يتغدى فحمد الله على النصر ثم قام فوطأ وجه ابن زياد بنعله، ثم رمى بالنعل إلى غلامه وقال له: إغسلها فإني وضعتها على وجه نجس كافر، ويروى أن مقتل عبيد الله بن زياد في هذه الوقعة كان في العاشر من المحرم ذكرى إستشهاد الحسين عليه السلام وقيل في صفر.

ثم إن المختار ألقى الرؤوس في القصر ثم جعلها في المسجد في الرحبة فجاءت حية دقيقة تخللت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره، ثم خرجت وذهبت حتى غابت، ثم جاءت فدخلت من منخره وخرجت من فيه، فعلت هذا مراراً، وهذا الخبر رواه الترمذي في صحيحه وعن ابن بطة وعن خصائص النطنزي وهم من علماء أهل السنة.

٩ ـ رأس عبيد الله بن زياد عند زين العابدين عليه السلام:

ثم إن المختار أرسل برأس عبيد الله بن زياد ورؤوس أصحابه إلى محمَّد ابن الحنفية بمكة فلما وصلت الرؤوس إلى محمَّد ابن الحنفية خرّ ساجداً ودعا للمختار فقال: جزاه الله خير الجزاء فقد أدرك لنا ثأرنا ووجب حقه على كل من وَلَدَه عبد المطلب بن هاشم، اللَّهم وأحفظ إبراهيم الأشتر وانصره على الأعداء ووفقه لما تحب وترضى وأغفر له في الأخرة والأولى، ويروى أن زين العابدين عليه السلام كان يدعو كل يوم أن يريه الله قاتل أبيه الحسين عليه السلام مقتولاً، فلما قتل المختار عبيد الله بن زياد وأنفذ الرؤوس إلى علي بن الحسين عليه السلام وأمر رسوله فقال له: إنه يصلي من الليل وإذا أصبح وصلى صلاة الغداة هجع ثم يقوم فيستاك ويؤتى بغدائه، فإذا أتيتَ بابه فاسأل عنه فإذا قيل لك إن المائدة وضعت بين يديه فاستأذن عليه وضع الرأسين (رأس عبيد

الله وعمر بن سعد) على مائدته وقل له: المختار يقرأ عليك السَّلام ويقول لك، يا بن رسول الله قد بلّغك الله ثأرك، ففعل الرسول ما أمره به المختار فأدخل عليه الرؤوس وهو يتغدى صلوات الله عليه فقال عليه السلام: أُدخلتُ على ابن زياد لعنه الله وهو يتغدى ورأس أبي عليه السلام بين يديه فقلت: اللَّهمّ لا تمتني حتى تريني رأس ابن زياد وأنا أتغدى، فالحمد لله الذي أجاب دعوتي، ثم أمر بالرأس فرمي، ويروى أن علي بن الحسين عليه السلام خرّ ساجداً فقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيراً.

* * *

الخاتمة

أمّة السوء:

أن الله تعالى غضب على هذه الأمة التي قُتل فيها الحسين عليه السلام، غضب عليها جميعها ـ إلا قليلاً منها ـ لأنها قتلته أو شاركت في قتله بيدها أو سيفها أو مالها أو لسانها أو أعانت عليه أو رضيت، ولقد سنّ الله تعالى في خلقه أن الإثم لثلاثة، الفاعل والمعين والراضي، فكل من قتل أو أعان أو رضي فهو من قتلة الإمام الحسين عليه السلام.

ومن ركب معهم في سفينة السوء أو أبحر معهم في بحر الخطايا أمة خذلت حسيناً عليه السلام وهم يعلمون فلم ينصروه، وهم بالنصرة مأمورون ضنّوا بأنفسهم عن نفسه، وبولدهم عن ولده ولم

يبالوا ـ بعد أن غيّبوا دمهم الخبيث إلى حين ـ بدم الحسين عليه السلام أن يهدر ولا بالحق أن يهجر ولا بالمعروف أن ينكر ولا بدين الله أن ينحر.

غضب الله على هذه الأمة فكانت أمة ملعونة لعنها الله تعالى فصبّ عليها العذاب صبّاً وألقى بأسها بينها فأريقت دماؤها أنهاراً وذلّت أعناق كانت طوالاً حتى صافحوا بأيديهم أرجل أعدائهم وأقرّوا بألسنتهم وبطلاقة أنهم العبيد وأن نساءهم الإماء فتباً وترحاً.

ألا رحمة الله عليك يا مختار الثقفي وعلى سليمان بن صرد الخزاعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى إبراهيم بن مالك الأشتر، وعلى الأبطال الذين أدخلوا السرور على قلب آل البيت عليهم السلام بأخذهم الثأر من أعدائهم. رحم الله من قرأ الفاتحة لأرواحهم الطاهرة.

* * *

الفهرس

المقدمة ٥
تاريخ المختار ٩
١ ـ الإخبار بالمختار في أدعية الإمام الحسين عليه السلام ... ٩
٢ ـ المختار مع مسلم بن عقيل ١١
٣ ـ المختار عند ابن زياد ١٢
٤ ـ المختار في السجن ١٢
٥ ـ خروج المختار من السجن ١٨
٦ ـ المختار في الكوفة ١٩
٧ ـ نبوءة المختار ٢١
٨ ـ سر النبوءات ٢٣
دعوة المختار ٢٥

١ ـ نداء المختار ٢٥
٢ ـ إجابة الشيعة ٢٧
٣ ـ الإستئذان من محمَّد ابن الحنفية ٢٨
٤ ـ الإستئذان من زين العابدين عليه السلام ٣٠
٦ ـ إجتماع الشيعة على المختار ٣١
٦ـ إبراهيم بن مالك الأشتر ٣٢
٧- كتاب محمَّد ابن الحنفية إلى الأشتر ٣٤
٨ ـ موافقة ابن الأشتر ٣٥
ثورة المختار ٣٧
١ ـ الثورة ٣٧
٢ ـ إستنفار السلطة ٣٨
٣ ـ شرارة الثورة ٣٩
٤ ـ إندلاع الثورة ٤١
٥ ـ الإنتصار الأول ٤٣
٦ ـ السيطرة على الكوفة ٤٥
٧ ـ استسلام السلطة ٤٨

٨ ـ نصرة أهل البيت عليهم السلام ٤٩
القصاص من قتلة الحسين عليه السلام ٥٢
١ ـ النبوءة بقتل قتلة الحسين عليه السلام ٥٢
٢ ـ إنتقام الله تعالى ٥٣
٣ ـ ثورة الأشرار قتلة الحسين عليه السلام ٦٠
٤ ـ قرار إستئصال قتلة الحسين عليه السلام ٦٣
٥ ـ تتبع قتلة الحسين عليه السلام ٦٣
٦ ـ تفاصيل الثأر ٦٦
قتل أكابر المجرمين ٧٥
١ ـ قتل خولي بن يزيد صاحب رأس الحسين عليه السلام .. ٧٥
٢ ـ قتل عمرو بن الحجاج الزبيدي ٧٦
٣ـ قتل حرملة بن كاهل قاتل الرضيع عليه السلام ٧٦
٤ ـ قتل مرة بن منقذ قاتل علي بن الحسين عليه السلام ٧٨
٥ ـ قتل سنان بن أنس قاتل الحسين عليه السلام ٧٨
٧ ـ قتل محمَّد بن الأشعث آسر مسلم بن عقيل ٧٩
٧ ـ قتل قيس بن الأشعث ٨١

٨ ـ قتل شبث بن ربعي ٨٢
٩ ـ قتل ابجر بن كعب ٨٢
١٠ ـ قتل الذين رضّوا صدر الحسين عليه السلام ٨٣
١١ ـ قتل الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين عليه السلام ٨٤
١٢ ـ قتل عمر بن سعد ٨٤
١٣ ـ رأس عمر بن سعد عند ابن الحنفية ٩٠
١٤ ـ رأس عمر بن سعد عند زين العابدين عليه السلام ٩١
قتل عبيد الله بن زياد وجيش أهل الشام ٩٢
١ ـ الوقعات ٩٢
٢ ـ جيش ابن الأشتر ٩٣
٣ ـ إلتقاء الجيشين ٩٤
٤ ـ الإستعداد للحرب ٩٧
٥ ـ المعركة وإبادة جيش الشام ٩٨
٦ ـ قتل عبيد الله بن زياد ٩٩
٧ ـ إبادة أهل الشام ١٠٠
٨ ـ إرسال الرؤوس ١٠١

٩ ـ رأس عبيد الله بن زياد عند زين العابدين عليه السلام ..١٠٣
الخاتمة ١٠٥
أمّة السوء ١٠٥